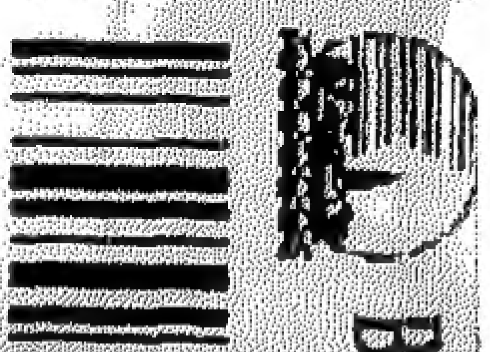


الزنبقة السوداء

الروايات المشهورة





الزنبقة السوداء



رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

الطبعة الأولى ١٩٩٠

رقم الإيداع : ١٩٩٠ / ٨٣٧٩

الترقيم الدولي : ١ - ٠٠١٤ - ١٦ - ٩٧٧ ISBN

طبع بمطابع دار المعارف

الروايات المشهورة

الزنبقة السوداء

تأليف : ألكساندر ديماس

أعدها بالعربية : الدكتور اللواء سيد أبو مسلم

رسوم : جلال عمران



الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان

الفَصْلُ الأَوَّلُ

رَجُلٌ سَعيدٌ

في مَدينَةِ دُرْت الصَّغيرَةِ بِهولَنْدا ، وَفي عام ١٦٧٢ ، كانَ يعيشُ رَجُلٌ سَعيدٌ بِحَقٍّ . فَفي هذا العالَم لا يوجَدُ سِوى القَليلِ مِنَ الرِّجالِ الَّذينَ يُمْكِنُ أَنْ نَعْتَبِرَهُمْ سُعَداءَ بِحَقٍّ ، وَقَدْ كانَ كُورْنِلْيَس ڤان بارْل واحِداً مِنْ هؤلاءِ .

بَدَأَ كُورْنِلْيَس حَياتَهُ طَبيباً ، وَلكِنَّهُ تَخَلّى عَنْ مِهْنَةِ الطِّبِّ عِنْدَما تُوُفِّيَ والِدُهُ . وَكانَ والِدُ كُورْنِلْيَس تاجِراً ، وَقَدْ جَمَعَ أَمْوالاً طائِلَةً مِنَ التِّجارَةِ ، وَعِنْدَما أَشْرَفَ عَلى المَوْتِ قالَ لابْنِهِ : « يا بُنَيَّ عِشْ سَعيداً ، وَلاتَعْمَلْ في مَكْتَبٍ طَوالَ النَّهار ، فَتِلْكَ لَيْسَتْ حَياةً سَعيدَةً ؛ وَلاتَعْمَلْ بِالتِّجارَةِ مِثْلي ؛ وَلا تَعْمَلْ كَذلِكَ بِالسِّياسَةِ مِثْلَ دي وِت ، فَمِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّ عَمَلَهُ سَيَجْلُبُ عَلَيْهِ المَتاعِبَ . يا بُنَيَّ ، عِشْ حَياةً هادِئَةً ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ عِشْ سَعيداً .»

وَهكَذا بَقِيَ كُورْنِلْيَس يَعيشُ في بَيْتِهِمُ الواسع . وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ كَيْفَ يَقْضي وَقْتَهُ ، لِذا راحَ يَزْرَعُ أَزْهارَ الزَّنْبَقِ . وَكانَ النّاسُ في

تِلْكَ الأيّام مولعينَ بِزِراعَةِ أزْهارِ الزَّنْبَقِ ، وَكانَتْ تُمْنَحُ جَوائِزُ قَيِّمَةٌ لِمَنْ يَزْرَعُ أنْواعاً جَديدَةً مِنَ الزَّنْبَقِ ، كَأنْ يُنْتِجُ زَنْبَقَةً ذاتَ شَكْلٍ أوْ لَوْنٍ جَديدٍ . وَقَدِ اسْتَطاعَ ڤان بارْل أنْ يُنْتِجَ ثَلاثَةَ أنْواعٍ جَديدَةٍ مِنَ الزَّنْبَقِ ، وَأطْلَقَ عَلى النَّوْعِ الأوَّلِ مِنْها اسْمَ « جين » وَهُوَ اسْمُ والِدَتِهِ ؛ وَعَلى الثّاني اسْمَ « ڤان بارْل » وَهُوَ اسْمُ والِدِهِ ؛ وَسَمَّى الثّالِثَ « كُورْنِلْيس » وَهُوَ اسْمُ كُورْنِلْيس دِي وِت صَديقُ والِدِهِ .

وَكانَ يَسْكُنُ في المَنْزِلِ المُجاوِرِ لِمَنْزِلِ ڤان بارْل رَجُلٌ يُدْعى آيْزاك بُوكْستِل ، وَكانَ يَزْرَعُ هُوَ أيْضاً أزْهارَ الزَّنْبَقِ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَرِيّاً . وَكانَ يَعْمَلُ بِكُلِّ جِدٍّ ، وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ جارَهُ ڤان بارْل، إذْ كانَ يَخْشى أنْ يُوَفَّقَ جارُهُ الثَّرِيُّ في زِراعَةِ أنْواعٍ مِنْ أزْهارِ الزَّنْبَقِ تَفوقُ ما يَزْرَعُهُ هُوَ . وَلِهَذا فَقَدْ كانَ يُطِلُّ مِنْ فَوْقِ سورِ الحَديقَةِ الَّذي يَفْصِلُ بَيْنَهُما ، وَيُراقِبُ كُلَّ ما كانَ يَفْعَلُهُ ڤان بارْل . وَقَدْ بَلَغَ بِهِ الأمْرُ حَدَّ أنَّهُ اشْتَرى مِنْظاراً مُقَرِّباً (تِليسكوباً) لِيَرى بِهِ ڤان بارْل وَيُراقِبَهُ وَهُوَ مُنْشَغِلٌ بِبُزورِهِ وَأزْهارِهِ . وَعِنْدَما رَأى أنَّ حَديقَةَ جارِهِ امْتَلأتْ بِأجْمَلِ أنْواعِ الأزْهارِ أتى بِقِطَّتَيْنِ ، وَرَبَطَهُما مَعاً وَأسْقَطَهُما لَيْلاً – عَبْرَ السّورِ – في الحَديقَةِ فَأتْلَفَتا كُلَّ ما كانَ بِها مِنْ أزْهارٍ .

وَعَلى أثَرِ ذَلِكَ اسْتَعانَ ڤان بارْل بِحارِسٍ يَتَوَلّى حِراسَةَ الأزْهارِ في

حَديقَتِهِ ، وَيَحْميها مِنَ القِطَطِ ، لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أنَّ بوكْستِل هُوَ الَّذي دَفَعَ بِالقِطَّتَيْنِ إلى الحَديقَةِ .

وَفي ذَلِكَ الوَقْتِ أُعْلِنَ عَنْ جائِزَةٍ لِمَنْ يَسْتَطيعُ أنْ يَزْرَعَ زَنْبَقَةً سَوْداءَ لا يَشوبُها أيُّ لَوْنٍ آخَرَ . وَكانَتْ قيمَةُ الجائِزَةِ مِئَةَ أَلْفِ غيلْدَر .

وَسُرْعانَ ما شَرَعَ ڤان بارْل في العَمَلِ ، فَتَمَكَّنَ مِنْ زِراعَةِ زَنابِقَ حَمْراءَ داكِنَةِ الحُمْرَةِ ، وَمِنْ هذِهِ الزَّنابِقِ الدّاكِنَةِ الحُمْرَةِ تَمَكَّنَ مِنْ إنْتاجِ زَنابِقَ بُنِّيَّةِ اللَّوْنِ . وَفي العامِ التّالي تَوَصَّلَ إلى زَنابِقَ بُنِّيَّةٍ داكِنَةٍ .

أَمّا بوكْستِل ، فَلَمْ يُوَفَّقْ ، حَتّى ذَلِكَ الوَقْتِ ، إلا إلى إنْتاجِ زَنابِقَ بُنِّيَّةٍ فاتِحَةٍ ؛ لِذا فَإنَّهُ اسْتَشاطَ غَضَباً ، وَبَلَغَ مِنْ غَضَبِهِ أنهُ لَمْ يَعُدْ قادِراً عَلى العَمَلِ ، فاكْتَفى بِمُراقَبَةِ ڤان بارْل . وَجَلَسَ إلى مِنْظارِهِ المُقَرِّبِ يُراقِبُ ڤان بارْل وَهُوَ يَشْتَغِلُ بِأزْهارِهِ وَبُزورِهِ مُحاوِلاً أنْ يَمْزُجَ نَوْعاً مِنَ الزَّنْبَقِ بِنَوْعٍ آخَرَ . وَكُلَّما زادَ بوكْستِل في مُراقَبَةِ جارِهِ ڤان بارْل ، زادَتِ الكَراهِيَةُ في قَلْبِهِ نَحْوَهُ .

وَفي ذَلِكَ الوَقْتِ ذَهَبَ كُورْنلِيس دي وِت إلى المَدينَةِ .

الفَصْلُ الثّاني

أوْراقٌ سِرِّيّة

وَصَلَ كُورْنلِيس دِي وِت مَنْزِلَ ڤان بارْل ذاتَ مَساءٍ مِنْ شَهْرِ يَنايِر عامَ ١٦٧٢ ، وَجالَ بِبَصَرِهِ في أرْجاءِ المَنْزِلِ ، فَرَأى كُلَّ شَيْءٍ فيهِ ، وَعِنْدَئِذٍ قالَ لَهُ : « أوَدُّ أنْ أخْلُوَ بِكَ لِبِضْعِ دَقائِقَ .»

قالَ ڤان بارْل : « هَلُمَّ بِنا إلى غُرْفَةِ البُزور .»

وَكانَ بُوكْستِل طَوالَ ذَلِكَ الوَقْتِ يُراقِبُ كُلَّ ما يَدورُ بَيْنَهُما بِمِنْظارِهِ المُقَرِّبِ .

وَحَمَلَ ڤان بارْل مِصْباحَهُ وَصَحِبَ دِي وِت إلى غُرْفَةِ البُزورِ . وَكانَ بِالغُرْفَةِ صُنْدوقٌ كَبيرٌ يَحْتَوي عَلى الحُبوبِ وَالبُزورِ . وَعِنْدَئِذٍ دَقَّقَ بُوكْستِل في مُراقَبَتِهِ مِنْ خِلالِ المِنْظارِ المُقَرِّبِ كَما لَمْ يَفْعَلْ مِنْ قَبْلُ ، فَشاهَدَ الضَّوْءَ يَنْتَشِرُ في الغُرْفَةِ ، وَرَأى دِي وِت ، فَعَرَفَهُ ؛ إذْ كانَ مَعْروفًا لَدى الجَميع بِاعْتِبارِهِ أحَدَ رِجالِ الحُكومَةِ البارِزينَ .

وَأسَرَّ دِي وِت إلى ڤان بارْل بِضْعَ كَلِماتٍ لَمْ يَسْتَطِعْ بُوكْستِل

أنْ يُفَسِّرَها ، ثُمَّ أخْرَجَ دِي وِت بِضْعَ أوْراقٍ مَطْوِيَّةٍ سَلَّمَها لِڤان بارْل . وَكانَ مِنَ الواضِحِ أنَّها أوْراقٌ مُهِمَّةٌ ، وَقَدْ خَمَّنَ بُوكْستِل أنَّها تَحْتَوي عَلى مَسائِلَ مُتَّصِلَةٍ بِالحُكومَةِ ، وَلكِنَّهُ تَساءَلَ فيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ عَنِ السَّبَبِ الَّذي يُمْكِنُ مِنْ أجْلِهِ أنْ تُسَلَّمَ مِثْلُ هذِهِ الأوْراقِ الحُكومِيَّةِ إلى ڤان بارْل الَّذي لَمْ يُعْرَفْ عَنْهُ قَطُّ اهْتِمامُهُ بِالشُّئونِ العامَّةِ .

كانَ بُوكْستِل يَعْرِفُ أنَّ كُورْنلْيَس دِي وِت لا يَحْظى بِحُبِّ النّاس ، وَأنَّ كَراهِيَتَهُمْ لَهُ كانَتْ تَتَزايَدُ مَعَ الأيّام . لَعَلَّ هذِهِ الأوْراقَ تَحْوي بَعْضَ الأسْرارِ الحُكومِيَّةِ الَّتي لَمْ يَشَأْ كُورْنلْيَس دِي وِت أنْ يَطَّلِعَ عَلَيْها أحَدٌ .

وَأخَذَ ڤان بارْل الأوْراقَ وَأوْدَعَها الصُّنْدوقَ مَعَ بُزورِهِ ، وَقالَ لَهُ دِي وِت شَيْئاً ، ثُمَّ صافَحَهُ . وَخَرَجا مَعاً مِنَ الغُرْفَةِ ، وَسَرْعانَ ما كانَ دِي وِت في عُرْضِ الطَّريقِ .

كانَ بُوكْستِل مُصيباً فيما ظَنَّهُ ، فَقَدْ كانَتِ الأوْراقُ الَّتي دَفَعَ بِها دِي وِت إلى ڤان بارْل رَسائِلَ مُوَجَّهَةً إلى مَلِكِ فَرَنْسا ، وَلكِنَّ دي وِت حَرَصَ عَلى ألا يُخْبِرَ صَديقَهُ بِما تَحْتَوي عَلَيْهِ تِلْكَ الأوْراقُ ، مُكْتَفِياً بِأنْ طَلَبَ إلَيْهِ أنْ يُعْنى بِحِفْظِها ، وَألا يُسَلِّمَها إلا



إلَيْهِ شَخْصِيًّا أَوْ مَنْ يوفِدُهُ إلَيْهِ . وَ وَضَعَ ڤان بارْل الأَوْراقَ في الصُّنْدوقِ ، وَلَمْ يَعُدْ يَشْغَلُ نَفْسَهُ بِها .

الفَصْلُ الثّالِثُ

دِي وت يَبْعَثُ بِرسالةٍ

في العِشْرينَ مِنْ أغُسْطُس عامَ ١٦٧٢ ، اِمْتَلأتْ شَوارِعُ لاهاي ، وَهِيَ كُبْرى المُدُنِ الهولَنْدِيَّةِ ، بِرِجالٍ يَحْمِلونَ البَنادِقَ وَيُسْرِعونَ إلى سِجْنِ المَدينَةِ . وَكانَتْ تَقِفُ أمامَ أسْوارِ السِّجْنِ سَرِيَّةٌ مِنَ الفُرْسانِ تَحولُ بَيْنَ الجَماهيرِ المُتَزاحِمَةِ وَ الوُصولِ إلى أسْوارِ السِّجْنِ ، وَفي داخِلِ السِّجْنِ كانَ كُورْنِلْيس دِي وِت وَأخوهُ جون حَبيسَيْن . وَعَلَتْ صَيْحاتُ الجَماهيرِ مُنادِيَةً : « إلى السِّجْنِ ! لَنْ نَسْمَحَ لِلأخَوَيْن دِي وِت بِالهَرَبِ ! اُقْتُلوهُما !»

وَتَكَرَّرَتْ صَيْحاتُ الجَماهيرِ : « اُقْتُلوا الأخَوَيْنِ دِي وِت !» عَلى حينَ ظَلَّ الجُنودُ خارِجَ السِّجْنِ دونَ حَراكٍ .

وَتَقَدَّمَ قائِدُ الفُرْسانِ يَسْألُ الجَماهيرَ : « ماذا تُريدونَ ؟»

رَدّوا : « نُريدُ الأخَوَيْن دِي وِت ! نُريدُ أنْ نَقْتُلَهُما !»

قالَ القائِدُ: « لَدَيَّ أوامِرُ بِألا أسْمَحَ لأحَدٍ بِالاقْتِرابِ مِنَ السِّجْنِ ،

فإذا اقْتَرَبْتُمْ أُطْلَقْتُ عَلَيْكُمُ النَّارَ !»

وَتَراجَعَتِ الجَماهيرُ .

كانَ كُورْنِلْيَس دِي وِت يَرْقُدُ مَريضاً في فِراشِهِ داخِلَ السِّجْنِ ، وَكانَ أخوهُ جون يَقِفُ إلى جِوارِهِ .

قالَ جون مُخاطِباً أخاهُ : « أَيُّها العَزيزُ كُورْنِلْيَس ، هَلْ تَشْعُرُ بِتَحَسُّنٍ ؟ ثَمَّةَ عَرَبَةٌ تَقِفُ بِالقُرْبِ مِنَ البابِ الخَلْفِيِّ لِلسِّجْنِ جاهِزَةً لِنَهْرُبَ بِها .»

وَعَلَتْ أَصْواتُ الجَماهيرِ تُرَدِّدُ : « المَوْتُ لِلأَخَوَيْنِ دِي وِت !» فَقالَ كُورْنِلْيَس : « إِنَّني أَسْمَعُ هُتافَ الجَماهيرِ .»

رَدَّ جون : « نَعَمْ ، إِنَّهُمْ يَهْتِفونَ ضِدَّنا بِسَبَبِ رَسائِلِنا إلى مَلِكِ فَرَنْسا ، فَأَيْنَ هذِهِ الرَّسائِلُ ؟»

أجابَهُ كُورْنِلْيَس : « لَقَدْ تَرَكْتُها لَدى ڤان بارْل ، وَهُوَ يَعيشُ في دُرْت .»

صاحَ جون : « ڤان بارْل ! مِسْكينٌ ڤان بارْل ! إِنَّهُ لا يَعْرِفُ شَيْئاً عَنْ هذا المَوْضوع . وَسَيَكونُ مَصيرُهُ المَوْتَ أَوِ السِّجْنَ إذا

وُجِدَتْ هذِهِ الرَّسائِلُ في حَوْزَتِهِ .»

وَعَلَتْ صَيْحاتُ الجَماهيرِ مِنْ جَديدٍ : « المَوْتُ لِلأَخَوَيْن دِي وِت !»

قالَ جون : « يَنْبَغي حَرْقُ تِلْكَ الرَّسائِل ، وَعَلَيْنا أَنْ نُرْسِلَ إلى ڤان بارْل لِيَفْعَلَ ذلِكَ .»

سَأَلَهُ كُورْنِلْيس : « مَنْ ذا الَّذي يُمْكِنُ أَنْ نُوفِدَهُ إِلَيْهِ ؟»

أَجابَ جون : « خادِمي كريك . إِنَّهُ هُنا .»

وَتَناوَلَ دِي وِت كِتابًا كانَ عَلى المِنْضَدَةِ ، وَنَزَعَ إِحْدى صَفَحاتِهِ ، وَكَتَبَ عَلَيْها :

عزيزي ڤان بارل ،

ارجو أن تحرق تلك الرسائل التي سلمتها اليك دون أن تنظر فيها ، فإنه من الخطورة عليك أن تعرف ما هو مكتوب فيها . احرقها تنقذ حياة كورنليس دي وت وحياة اخيه جون وسمعتهما .

العشرون من اغسطس ١٦٧٢ كورنليس دي وت

تناوَلَ جُون الرِّسالَةَ وَسَلَّمَها لِخادِمِهِ كرِيك ، وَكانَتْ صَيْحاتُ الجَماهيرِ تَتَصاعَدُ مُنادِيَةً بِالمَوْتِ لِلأَخَوَيْن دِي وِت .

وَقالَ جون لأخيهِ : « هَيَّا بِنا فَعَلَيْنا أنْ نَمْضِيَ .»

وَشَقَّ رَجُلٌ طَرِيقَهُ وَسْطَ الزِّحام مُتَّجِهاً إلى الضّابِطِ ، وَقالَ لَهُ : « إنَّني أَحْمِلُ إلَيْكَ أمْراً مِنَ الحُكومَةِ بِصَرْفِ هؤلاءِ الجُنودِ .»

وَعِنْدَئِذٍ تَقَدَّمَتِ الجَماهيرُ نَحْوَ الجُنودِ فَصاحَ الضّابِطُ: « اِلزَموا أماكِنَكُمْ ، وإلا أطْلَقْتُ النّارَ .»

صاحَ الرَّجُلُ : « إنَّ ما أحْمِلُهُ أمْرٌ . إنَّهُ أمْرٌ بِأنْ تَصرِفَ جُنودَكَ .»

قالَ الضّابِطُ : « إنَّ هذا يَعْني المَوْتَ لِلأَخَوَيْن دِي وِت ، وَلكِنْ عَلَيَّ أنْ أرْضَخَ لِلأوامِرِ .»

وَأمَرَ الجُنودَ بِأنْ يَتَحَرَّكوا مُبْتَعِدينَ .

الفَصْلُ الرّابعُ

المَوْتُ في الطَّريقِ

نَهَضَ كُورْنلَيس مِنْ فِراشِهِ يُعاوِنُهُ شَقيقُهُ جون ، وَغادَرا الغُرْفَةَ هابِطَيْنِ الدَّرَجَ . وَكانَتْ روزا ، ابْنَةُ غريفِس حارِس السِّجْن ، تَقِفُ أَسْفَلَ الدَّرَج ، وَهِيَ فَتاةٌ جَميلَةٌ لَها مِنَ العُمْرِ ثَمانِيَةَ عَشَرَ رَبيعاً .

قالَتْ روزا : « أَوَدُّ أَنْ أخْبِرَكُما بِأَمْرٍ .»

سَأَلَها جون دِي وِت : « ما هُوَ ذاكَ ، يا بُنَيَّتي ؟»

أجابَتْ : « لا تَخْرُجا إلى الطَّريقِ ، فالجُنودُ يَنْصَرِفونَ ؛ وَإذا رآكُما النّاسُ قَتَلوكُما .»

سَألَها كُورْنلَيس : « ماذا نَفْعَلُ إذاً ؟»

أجابَتْ : « اُخْرُجا مِنَ البابِ الخَلْفِيِّ ، فَهُوَ يُؤَدّي إلى طَريقٍ جانِبِيٍّ . وَقَدْ طَلَبْتُ إلى سائِقِ العَرَبَةِ أَنْ يَنْتَظِرَكُما هُناكَ .»

قالَ جون : « السُّؤالُ المُهِمُّ هُوَ : هَلْ سَيَفْتَحُ أبوكِ لَنا البابَ ؟»

قالَتْ روزا : « أعْرِفُ أنَّهُ لَنْ يَفْتَحَهُ ؛ لِذَلِكَ أخَذْتُ المِفْتاحَ ، وَها هُوَ ذا .»

قالَ كُورْنلِيَس : « إنَّني لا أسْتَطيعُ أنْ أوفيَكِ حَقَّكِ مِنَ الشُّكْرِ، يا بُنَيَّتي ؛ وَلَيْسَ مَعي ما أمْنَحُكِ إيّاهُ سِوى الكِتابِ الَّذي سَتَجِدينَهُ في غُرْفَتي . أعْلَمُ أنَّكِ لا تَعْرِفينَ القِراءَةَ ، وَلكِنْ رُبَّما تَجِدينَ مَنْ يُعَلِّمُكِ . إنَّ هذا الكِتابَ آخِرُ هَدِيَّةٍ يُقَدِّمُها رَجُلٌ حاوَلَ أنْ يُنْقِذَ بِلادَهُ ، وَأتَمَنّى أنْ يَعودَ عَلَيْكِ بِالفائِدَةِ .»

قالَتْ روزا : « شُكْرًا لَكَ يا سَيِّدي . وَسَأحْتَفِظُ بِهِ دائِمًا ، رَغْمَ أنَّني لا أعْرِفُ القِراءَةَ ، وَلَكَمْ أتَمَنّى أنْ أتَعَلَّمَها .»

وَعَلَتْ صَيْحاتُ الجَماهيرِ في الخارِجِ ، فَقالَتْ روزا : « أسْرِعا .» فَتَبِعاها وَهَبَطا بِضْعَ دَرَجاتٍ ، ثُمَّ عَبَرَا فِناءً صَغيرًا . وَفَتَحَتْ روزا بابًا صَغيرًا قادَهُما إلى الطَّريقِ ، وَقالا لِلْفَتاةِ مُوَدِّعَيْن : « إلى اللِّقاءِ يا ابْنَتي .»

صاحَتْ روزا : « اِذْهَبا بِسُرْعَةٍ ، فالجَماهيرُ تُحاوِلُ اقْتِحامَ بابِ السِّجْنِ .»

وَتَحَرَّكَتِ العَرَبَةُ مُبْتَعِدَةً حَتّى وَصَلَتْ في نِهايَةِ المَطافِ إلى بَوّابَةِ

المَدينَةِ . وَصاحَ سائِقُ العَرَبَةِ مُخاطِباً الحارسَ : « اِفْتَحْ ! اِفْتَح البَوّابَةَ ! »

رَدَّ حارسُ البَوّابَةِ : « لا أَسْتَطيعُ ذَلِكَ فَقَدْ أَخِذَ المِفْتاحُ مِنّي . »

قالَ جون : « عَلَيْنا أَنْ نُحاوِلَ الخُروجَ مِنْ بابٍ آخَرَ . »

وَاسْتَدارَتِ العَرَبَةُ ، وَكانَ بَعْضُ الرِّجالِ يَجْرونَ نَحْوَ ناصِيَةِ الطَّريقِ ، وَآخَرونَ يَجْرونَ خَلْفَ العَرَبَةِ ، فَصاحَ جون : « أَسْرِعْ ! أَسْرِعْ أَيُّها السّائِقُ ! » وَلَكِنَّ الرِّجالَ وَقَفوا يَسُدّونَ الطَّريقَ ، وَصاحوا بِهِمْ أَنْ يَتَوَقَّفوا ، غَيْرَ أَنَّ العَرَبَةَ مَضَتْ مُنْدَفِعَةً في طَريقِها ، فَصَدَمَتْ



رَجُلاً وَمَرَّتْ فَوْقَهُ . وَتَجَمَّعَ المَزِيدُ مِنَ النَّاسِ في الطَّرِيقِ ، وَسَدّوا جَمِيعَ مَنافِذِهِ ، فَصاحَ جون في السّائِقِ : «قِفْ ! عَلَيْنا أَنْ نُغادِرَ العَرَبَةَ .»

وَتَعالَتْ صَيْحاتُ الجَماهِيرِ قائِلَةً : « ها هُمْ أولاءِ !» وَضَرَبَ رَجُلٌ أَحَدَ الجَوادَيْنِ اللَّذَينَ يَجُرّانِ العَرَبَةَ عَلى رَأْسِهِ فَسَقَطَ ، وَجَرَّ آخرونَ جون و كُورْنلِيَس خارِجَ العَرَبَةِ .

وَصاحَ جون دِي وِت : « أَخي ! أَيْنَ أَخي ؟»

كانَ كُورْنلِيَس في تِلْكَ اللَّحْظَةِ مُمَدَّدًا عَلى الأَرْضِ وَقَدْ فارَقَتْهُ الحَياةُ . وَصَوَّبَ رَجُلٌ بُنْدُقِيَّتَهُ إِلى رَأْسِ جون ، وَلَكِنَّها لَمْ تَنْطَلِقْ فَرَفَعَها الرَّجُلُ إِلى أَعْلى وَضَرَبَ بِها جون عَلى رَأْسِهِ فَسَقَطَ مَيِّتًا. وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتّى كانَتْ جُثَّتا الشَّقِيقَيْنِ مُعَلَّقَتَيْنِ في شَجَرَةٍ خارِجَ السِّجْنِ . لَقَدْ أَدّى النّاسُ مُهِمَّتَهُمْ !

الفَصْلُ الخامِسُ

ڤان بارْل يَدْخُلُ السِّجْنَ

بَيْنَما كانَ أهالي مَدينَةِ لاهاي يُجْهِزونَ عَلى كُورْنِلْيس دِي وِت وَأخيهِ جون ، كانَ كريك يَمتَطي صَهْوَةَ جَوادِهِ في طَريقِهِ إلى دُرْت . وَعِنْدَما وَصَلَ إلى النَّهْرِ تَرَكَ جَوادَهُ في كوخ ، ورَكِبَ زَوْرَقاً أكْمَلَ بِهِ رِحْلَتَهُ . وَسُرْعانَ ما لاحَتْ لَهُ مَدينَةُ دُرْت عِنْدَ سَفْح تَلٍّ . وَكانَتْ بُيوتُ المَدينَةِ الأنيقَةُ الحَمْراءُ تَقَعُ عَلى حافَةِ المِياهِ ، وَكانَ في ناحِيَةِ التَّلِّ بَيْتٌ أكْبَرُ مِنْ بَقِيَّةِ البُيوتِ ، وَكانَتْ بِجِوارِهِ بِضْعُ أشْجارٍ عالِيَةٍ . وَكانَ هذا البَيْتُ هُوَ بَيْتَ ڤان بارْل .

وَتَرَكَ كريك الزَّوْرَقَ وَقَصَدَ البَيْتَ . وَكانَ كُورْنِلْيس ڤان بارْل عِنْدَئِذٍ في غُرْفَةِ البُزورِ يَتَطَلَّعُ إلى ثَلاثِ بُزورٍ في يَدِهِ وَيَقولُ لِنَفْسِهِ : « أعْتَقِدُ أنَّني تَوَصَّلْتُ إلى الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ ، وَسَأظْفَرُ بِمِئَةِ ألْفِ الغيلْدَر وَسَأوَزِّعُها عَلى فُقَراءِ مَدينَةِ دُرْت . وَسَيَعْرِفُ اسْمي كُلُّ زارِعي زَهْرَةِ التِّيولِب في العالَم ، وَسَيُطْلَقُ عَلى هذِهِ الزَّهْرَةِ اسْمُ زَنْبَقَةِ ڤان بارْل السَّوْداءِ . وَقَدْ أكْتَفي بِمَنْح الفُقَراءِ نِصْفَ قيمَةِ الجائِزَة ،

وَأَسْتَخْدِمُ الباقِيَ في إِنْبَاتِ أَنْواعِ أُخْرى مِنَ الزَّنْبَقِ . آهِ يا أَبْصالِيَ الجَميلَةَ !»

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ دَقَّ جَرَسُ البابِ ، وَتَوَجَّهَ أَحَدُ الخَدَمِ لِيَفْتَحَهُ ، فَسَأَلَهُ ڤان بارْل : «مَنِ الطَّارِقُ ؟»



أجابَ الخادِمُ : « إنَّهُ رَجُلٌ مِنْ مَدينَةِ لاهاي يُدْعى كريك ، وَهُوَ يَحْمِلُ رِسالَةً إلَيْكَ .»

قالَ ڤان بارْل : « كريك ! إنَّهُ خادِمُ جون دي وِت . دَعْهُ يَنْتَظِرْ قَليلاً .»

قالَ كريك : « لا يُمْكِنُني الانْتِظارُ .» وَانْدَفَعَ فَجْأَةً إلى داخِلِ الغُرْفَةِ لِدَرَجَةِ أنَّ بِزْرَتَيْن سَقَطَتا مِنْ يَدِ ڤان بارْل فَسَأَلَهُ : « ماذا وَراءَكَ ؟ لِماذا تَنْدَفِعُ داخِلاً بِهَذِهِ الطَّريقَةِ ؟»

قالَ كريك : « تَسْأَلُني ماذا وَرائي ؟ عَلَيْكَ أنْ تَقْرَأَ هَذِهِ الوَرَقَةَ عَلى الفَوْرِ .»

قالَ ڤان بارْل : « حَسَنٌ يا عَزيزي كريك ، سَأَقْرَأُ وَرَقَتَكَ .» ثُمَّ وَضَعَها عَلى المِنْضَدَةِ وَالْتَقَطَ البِزْرَتَيْن مِنَ الأَرْض ، وَاطْمَأَنَّ إلى أَنَّهُما لَمْ تَتْلَفا .

وَعِنْدَئِذٍ اقْتَحَمَ الخادِمُ الغُرْفَةَ صائِحاً : « سَيِّدي ! سَيِّدي ! اُهْرُبْ حالاً !»

سَأَلَهُ ڤان بارْل : « ما الَّذي يَجْري الآنَ ؟»

أجابَ الخادِمُ : « إنَّ البَيْتَ يَعجُّ بِالجُنودِ .»

سَأَلَهُ ڤان بارْل : « وَماذا يُريدونَ ؟»

صاحَ الخادِمُ : « إِنَّهُمْ يُريدونَكَ ! يَنْبَغي أَنْ تَنْجُوَ بِنَفْسِكَ الآنَ ! اقْفِزْ مِنَ النّافِذَةِ !»

قالَ كُورْنلْيَس : « لَنْ أَقْفِزَ مِنَ النّافِذَةِ . إِنَّني لَوْ فَعَلْتُ لَسَقَطْتُ عَلى أَزْهار الزَّنْبَق في الحَديقَةِ .»

وَتَطَلَّعَ كُورْنلْيَس حَوْلَهُ في الغُرْفَةِ باحِثًا عَنْ قِطْعَةٍ مِنَ الوَرَقِ يَضَعُ فيها أَبْصالَهُ الثَّلاثَ ، فَوَجَدَ الرِّسالَةَ الَّتي جاءَ بِها كرِيك . وَبِدونِ أَنْ يَدْري ماذا تَكونُ لَفَّ فيها البُزورَ الثَّلاثَ ، وَأَخْفاها داخِلَ مِعْطَفِهِ .

دَخَلَ الغُرْفَةَ ضابِطٌ بِصُحْبَتِهِ سِتَّةٌ مِنَ الجُنودِ ، وَسَأَلَ : « هَلْ أَنْتَ كُورْنلْيَس ڤان بارْل ؟»

أَجابَ كُورْنلْيَس : « أَجَلْ أَنا هُوَ .»

قالَ لَهُ الضّابِطُ : « أَعْطِني الرَّسائِلَ الحُكومِيَّةَ الَّتي تَحْتَفِظُ بِها في بَيْتِكَ .»

قالَ بارْل : « الرَّسائِلُ ! إِنَّني لا أَدْري ما تَعْنيهِ !»

قالَ الضّابِطُ : « إِنَّني أَعْني تِلْكَ الرَّسائِلَ الَّتي تَرَكَها كُورْنلْيَس

دِي وِت لَدَيْكَ في يَنايِر الماضي .»

قالَ ڤان بارْل : « لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُعْطِيَكَ هذِهِ الرَّسائِلَ ؛ لأَنَّ صَديقي كُورْنِلْيَس دِي وِت طَلَبَ إليَّ ألا أُسَلِّمَها إلا لَهُ أَوْ لِخادِمِهِ.»

قالَ الضَّابِطُ : « إنَّني آمُرُكَ أَنْ تَفْتَحَ هَذا الصُّنْدوقَ ! أَ لَنْ تَفْتَحَهُ ؟ إذاً سَأَفْتَحُهُ بِنَفْسي .»

وَفَتَحَ الضَّابِطُ الصُّنْدوقَ ، وَأَخْرَجَ مِنْهُ الرَّسائِلَ ، وَنَظَرَ إلَيْها قائِلاً: « لَقَدْ عَلِمْنا أَنَّ هَذِهِ الرَّسائِلَ هُنا ، وَها هِيَ ذي .»

سَأَلَهُ ڤان بارْل : « ماذا تَعْني ؟»

قالَ الضَّابِطُ : « لا تُحاوِلِ التَّظاهُرَ بِعَدَم المَعْرِفَةِ ، و عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعي . إنَّني أُلْقي القَبْضَ عَلَيْكَ .»

« ماذا جَنَيْتُ ؟»

أجابَ الضَّابِطُ : « هَذا ما سَيُخْبِرُكَ بِهِ قاضي التَّحْقيقِ .»

سَأَلَهُ ڤان بارْل : « أَيْنَ يُوجَدُ السِّجْنُ ؟»

أجابَهُ الضَّابِطُ : « في مَدينَةِ لاهاي .»

وَوَدَّعَ ڤان بارْل خَدَمَهُ ، وَتَبِعَ الضَّابِطَ وَرَكِبَ العَرَبَةَ .

الفَصْلُ السّادِسُ

بُوكْستِل يَقتَفي الأثَرَ

كانَ بُوكْستِل هُوَ الّذي أبْلَغَ الحُكومَةَ بِمَوْضوع الرَّسائِل المَوْجودَةِ في بَيْتِ ڤان بارْل . فَقَدِ اسْتَطاعَ بِمِنْظارِهِ المُقَرِّبِ أنْ يُشاهِدَ كُورْنِلْيَس دِي وِت وَهُوَ يُعْطي ڤان بارْل الرَّسائِلَ . وَظَنَّ أنّها رَسائِلُ سِرِّيَّةٌ عَنْ أمورٍ حُكومِيَّةٍ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « سَأُبْلِغُ المَسْئولينَ بِهَذا الأمْرِ ، وَسَيَأتونَ وَيَحْكُمونَ عَلى ڤان بارْل بِالسِّجْنِ . وَبَعْدَ ما يَقْتادونَهُ إلى السِّجْنِ سَأَتَسَلَّلُ إلى بَيْتِهِ ، وَأحْصُلُ عَلى بُزورِ الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ ، وَأظْفَرُ – بِالتّالي – بِمِئَةِ ألْفِ الغيلْدَر . »

وَشاهَدَ بُوكْستِل الجُنودَ يَقْتادونَ ڤان بارْل . وَحَلَّ المَساءُ ، فَأغْلَقَ الخَدَمُ البَيْتَ . وَعِنْدَما جَنَّ اللَّيْلُ ، لَمَعَتِ النُّجومُ في السَّماءِ ، وَارْتَفَعَتْ ضَوْضاءُ المَدينَةِ المُضْطَرِبَةِ ، ثُمَّ تَلاشَتْ في السُّكونِ .

عِنْدَئِذٍ حَمَلَ بُوكستِل مِصْباحَهُ ، وَتَسَلَّقَ الحائِطَ بِسُرْعَةٍ ، وَكَسَرَ إحْدى نَوافِذِ البَيْتِ ، وَدَلَفَ مِنْها إلَيْهِ . ثُمَّ صَعِدَ الدَّرَجَ مُتَّجِهًا إلى غُرْفَةِ البُزورِ ، وَهُناكَ بَحَثَ عَنِ البُزورِ في الصُّنْدوقِ ، وَعَلى المِنْضَدَةِ ،

وَفي كُلِّ مكانٍ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَعْثُرْ عَلَيْها . وَأَعادَ البَحْثَ ، وَلكِنَّ البُزورَ كانَتْ قَدِ اخْتَفَتْ . تُرى أَيْنَ ذَهَبَتْ ؟

وَقالَ لِنَفْسِهِ : « لَقَدْ أَخَذَها ڤان بارْل إلى لاهاي !»

الفَصْلُ السّابِعُ

ليْلة طويلة

بَيْنَما كانَتِ الجَماهيرُ تَنْدَفِعُ في طُرُقاتِ السِّجْنِ باحِثَةً عَنْ كُورْنِلْيَس دِي وِت وَأخيهِ جون ، كانَتْ روزا وَوالِدُها غرِيفِس يَخْتَبِئانِ في إحْدى الغُرَفِ في الطّابَقِ السُّفْلِيِّ . وَلَمّا لَمْ تَجِدْ هٰذِهِ الجَماهيرُ الأخَوَيْن ذَهَبَتْ إلى حالِ سَبيلِها . وَبَعْدَ فَتْرَةٍ طَويلَةٍ ، وَفي مُنْتَصَفِ اللَّيْل ، خَرَجَ غرِيفِس و روزا مِنْ مَخْبَئِهِما . وَفي أثْناءِ خُروجِهِما وَقَفَتْ عَرَبَةٌ عِنْدَ بَوّابَةِ السِّجْن ، وَكانَتْ تَحْمِلُ كُورْنِلْيَس ڤان بارْل .

قالَ الضّابِطُ مُخاطِباً غرِيفِس : « إنَّهُ صَديقٌ لِلأخَوَيْن دِي وِت. »

رَدَّ غرِيفِس : « صَديقُ الأخَوَيْن دِي وِت ! سَوْفَ يَنْزِلُ في غُرْفَتِهِما .» وَضَحِكَ وَهُوَ يَقودُ ڤان بارْل إلى الغُرْفَةِ ، وَصَحِبَتْهُما روزا وَهِيَ تَحْمِلُ مِصْباحاً سَقَطَتْ أشِعَّتُهُ الذَّهَبِيَّةُ عَلى وَجْهِها الجَميل . وَنَظَرَتْ إلى ذَلِكَ السَّجين الشّابِّ المِسْكين وَشَعَرَتْ بِالأسى نَحْوَهُ .



وَأخيراً وَصلوا إلى الغُرْفَةِ ، فَأشارَ غريفس إلى جِسْمٍ خَشَبيٍّ صُلْبٍ في زاوِيَتِها ، وَقالَ : « هَذا هُوَ فِراشُكَ .» وَأغْلَقَ البابَ ، وَتَلاشى ضَوْءُ المِصْباحِ الَّذي كانَتْ تَحْمِلُهُ روزا ، فَعَمَّ الظَّلامُ المَكانَ .

اِسْتَلْقى ڤان بارْل عَلى الفِراشِ وَاتَّجَهَ بِبَصَرِهِ ناحِيَةَ النّافِذَةِ الضَّيِّقَةِ ، فَرَأى أطْيافَ الأشْجارِ السَّوْداءَ تَرْتَفِعُ عالِيَةً في السَّماءِ . وَأخَذَ يُراقِبُها السّاعَةَ تِلْوَ السّاعَةِ ، حَتّى ظَهَرَ ضَوْءٌ قاتِمٌ في السَّماءِ ، ثُمَّ أشْرَقَتِ الشَّمْسُ . وَنَهَضَ كُورْنِلْيس مِنْ فِراشِهِ وَاتَّجَهَ إلى النّافِذَةِ ، فَرَأى عِنْدَ نِهايَةِ الفِناءِ شَجَرَةً تَتَدَلّى مِنْها جُثَّتانِ ، وَقَدْ عُلِّقَتْ بِهِما وَرَقَةٌ مَكْتوبٌ عَلَيْها بِحُروفٍ كَبيرَةٍ :

كورنليس و جون دي وت عدوا الشعب

قَرَأ ڤان بارْل الوَرَقَةَ ؛ فَأفْلَتَتْ مِنْهُ صَرْخَةٌ عالِيَةٌ ، وَعِنْدَئِذٍ فَتَحَ غرِيفِس البابَ قائِلاً : « لِماذا تُحْدِثُ هَذِهِ الضَّجَّةَ في مِثْلِ تِلْكَ السّاعَةِ المُبَكِّرَةِ مِنَ الصَّباحِ ؟ كُفَّ عَنْ هَذا !»

وَأشارَ ڤان بارْل إلى الجُثَّتَيْنِ ، فَقالَ غرِيفِس : « هَذانِ ؟ إنَّهُ مَصيرُ مَنْ يَكْتُبُ رَسائِلَ يَنْبَغي ألا يَكْتُبَها ؛ وإنَّهُ أيْضاً مَصيرُ مَنْ

يَحْتَفِظُ بِمِثْل هَذِهِ الرَّسائِل .»

وَأَغْلَقَ غرِيفِس البابَ ، فَانْهارَ ڤان بارْل على الأَرْض . وَنَهَضَ بَعْدَ حين وَأَخْرَجَ مِنْ مِعْطَفِهِ البُزورَ الثَّلاثَ ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُها .

هَكَذا ضاعَ جَهْدُهُ كُلُّهُ هَباءً ، فَلا التُّرْبَةُ وَلا ضَوْءُ الشَّمْس مَوْجودانِ في السِّجْن ، فَكَيْفَ يَتَسَنَّى لَهُ أَنْ يَزْرَعَ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ ؟

الفَصْلُ الثّامِنُ

ذِراعُ غريفِس تَنْكَسِرُ

في المَساءِ أتى غريفِس يَحْمِلُ الطَّعامَ لِڤان بارْل ، وَما إنْ فَتَحَ البابَ حَتّى سَقَطَ عَلى الأرْض وَكُسِرَتْ ذِراعُهُ ، ثُمَّ نَهَضَ فَأسْرَعَ نَحْوَهُ ڤان بارْل لِيُساعِدَهُ دونَ أنْ يُفَكِّرَ في الهَرَبِ . وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أسْرَعَتْ روزا تَصْعَدُ الدَّرَجَ ، فَقَدْ كانَتْ تَعْلَمُ أنَّ والِدَها يَضْرِبُ السُّجَناءَ أحْيانًا ، وَقَدْ حَسِبَتْ عِنْدَئِذٍ أنَّ ڤان بارْل اعْتَدى عَلى والِدِها بِالضَّرْبِ ، وَأدْرَكَ ڤان بارْل ما كانَ يَدورُ بِذِهْنِها فَقالَ لَها : « لَقَـدْ



سَقَطَ عَلى الأَرْض ، وَأنا أُحاوِلُ مُساعَدَتَهُ ؛ فَقَدْ كُسِرَتْ ذِراعُهُ .»

قالَتْ رُوزا : « شُكْرًا لَكَ ! أ طَبيبٌ أَنْتَ ؟»

أجابَ ڤان بارْل : « مارَسْتُ الطِّبَّ مُنْذُ سَنَواتٍ مَضَتْ .»

قالَ غريفِس : « لَعَلَّكَ إذًا تَسْتَطيعُ مُعالَجَةَ ذِراعي .»

أجابَ ڤان بارْل : « أَجَلْ ، وَلكِنّي أَحْتاجُ إلى شَريحَتَيْن مِنَ الخَشَبِ ، وَقِطْعَةٍ مِنَ القُماش ؛ فَقَدِ انْكَسَرَتْ عَظْمَةُ ذِراعِكَ .»

قالَ غريفِس لِرُوزا : « ساعِديني عَلى النُّهوض يا رُوزا .»

وَساعَدَتْ رُوزا أَباها عَلى النُّهوض ، فَجَلَسَ عَلى الفِراش ، ثُمَّ أَسْرَعَتْ فَأَحْضَرَتْ قِطْعَتَيْن مِنَ الخَشَبِ ، وَقِطْعَةً مِنَ القُماش .

وَتَمَكَّنَ ڤان بارْل مِنْ جَبْرِ العَظْمَةِ ، عَلى حين كانَ غريفِس يَصْرُخُ مُتَأَلِّمًا ، ثُمَّ أَغْلَقَ عَيْنَيْهِ ، وَفَقَدَ وَعْيَهُ .

وَالْتَفَتَتْ رُوزا إلى ڤان بارْل قائِلَةً : « أُريدُ أَنْ أُساعِدَكَ ، فَغَدًا سَتُقَدَّمُ لِلْمُحاكَمَةِ ، وَسَوْفَ يُصْدِرُ القاضي أَمْرًا بِشَنْقِكَ ، وَسَتُشْنَقُ كَما شُنِقَ الأَخَوانِ دي وِت ؛ وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَهْرُبَ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَرِدَّ أَبي وَعْيَهُ ؛ فَأَسْرِعْ بِالهَرَبِ .»

أجابَها ڤان بارْل : « لا لَنْ أهْرُبَ . إنّني لَوْ هَرَبْتُ فَسَيَقولونَ إنَّكِ قَدْ سَهَّلْتِ ذَلِكَ لي . إنّني لَمْ أرْتَكِبْ خَطَأً . »

قالَتْ : « أصْمُتْ ! فَلا يَنْبَغي أنْ يَعْلَمَ أبي أنّنا كُنّا نَتَبادَلُ الحَديثَ . »

سَألَها ڤان بارْل : « لِماذا ؟ »

أجابَتْ : « لأنَّهُ لَنْ يَسْمَحَ لي بِأن آتِيَ إلى هُنا مَرَّةً أُخْرى . »

سَألَها : « إذاً فَستَعودينَ وَتَتَحَدَّثينَ إلَيَّ ؟ »

أجابَتْ : « أجَلْ . »

وَأحَسَّ ڤان بارْل كَأنَّ ضَوْءَ الشَّمْس قَدْ غَمَرَ أرْجاءَ غُرْفَتِهِ .

وَفَتَحَ غريفِس عَيْنَيْهِ وَتَساءَلَ : « ماذا تَقولانِ ؟ »

أجابَتْ روزا : « يَقولُ الطَّبيبُ إنَّهُ يَنْبَغي عَلَيْكَ أنْ تَظَلَّ ساكِناً . »

قالَ غريفِس : « وَأنا أقولُ لَكِ إنَّهُ يَنْبَغي عَلَيْكِ ألا تَتَحَدَّثي إلى السُّجَناءِ . »

الفَصْلُ التّاسعُ

الاقتيادُ لِلمَوْتِ

في اليَوْم التّالي استُدْعِيَ ڤان بارْل لِلْمثولِ أمامَ القُضاةِ . وَبَعْدَ أنِ استَجْوَبوهُ أعْلَنوا أنّهُمْ سيُخْطِرونَ إدارَةَ السِّجْن بِقَرارِهِمْ في وَقْتٍ لاحِقٍ . وَأعيدَ ڤان بارْل إلى السِّجْن لِيَنْتَظِرَ القَرارَ .

وَبَعْدَ حَوالى نِصْفِ ساعَةٍ جاءَ ضابِطٌ إلى السِّجْن ، وَكانَ غريفِس في فِراشِهِ مَريضاً ، فَفَتَحَتْ روزا بابَ غُرْفَةِ ڤان بارْل وَهِيَ تَبْكي .

وَقَرَأَ الضّابِطُ نَصَّ الحُكْم الصّادِرِ مِنَ القُضاةِ ، وَمُؤَدّاهُ :

« يُقْتادُ السَّجينُ مِنْ سِجْنِهِ إلى فِناءِ السِّجْن حَيْثُ يُفْصَلُ رَأسُهُ عَنْ جَسَدِهِ .»

وَأنْصَتَ ڤان بارْل إلى تِلْكَ الكَلِماتِ ، وَبَدا مَدْهوشاً أكْثَرَ مِنْهُ حَزيناً .

وَسَأَلَهُ الضّابِطُ : « هَلْ لديْك ما تقولُهُ ؟»

أجابَ ڤانْ بارْل : « لا ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَخْطِرْ يَوْمًا بِبالي أَنَّهُ سَيَكونُ ثَمَّةَ سَبَبٌ لِمَوْتي ؟ مَتى سَيُقْطَعُ رَأْسي ؟»

أَجابَهُ الضّابِطُ وَقَدْ أَدْهَشَهُ هُدوءُهُ : « اليَوْمَ .»

وَكانَتْ روزا تَنْتَحِبُ .

سَأَلَ ڤان بارْل : « في أَيَّةِ ساعَةٍ ؟»

أَجابَ الضّابِطُ : « في السّاعَةِ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ .»

قالَ في هَلَع : « لَقَدْ سَمِعْتُ السّاعَةَ تَدُقُّ العاشِرَةَ مُنْذُ وَقْتٍ طَويل . إذًا فَلَيْسَ لَدَيَّ مُتَّسَعٌ مِنَ الوَقْتِ !» وَانْصَرَفَ الضّابِطُ .

وَالْتَفَتَتْ روزا إلى ڤان بارْل وَالدُّموعُ في عَيْنَيْها ، وَقالَتْ : « آهٍ يا سَيِّدي !»

قالَ : « لا تَبْكي ! لا تَبْكي أَكْثَرَ مِنْ هذا ! أَخْبِريني ما الأَمْرُ ؟»

قالَتْ روزا : « قُلْ لي أَنْتَ ما الّذي أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَهُ مِنْ أَجْلِكَ ؟»

أجابَها : « أعْطيني يَدَكِ ، وَعِديني بِألا تَسْخَري مِمّا سَأطْلُبُهُ مِنْكِ .»

قالَتْ روزا : « أسْخَرُ مِنْكَ ! أ لا تَرى دُموعي ؟»

قالَ : « روزا ، إنَّني لَمْ أرَ في حَياتي أجْمَلَ مِنْكِ . وَلا يَنْبَغي أنْ أقولَ أكْثَرَ مِنْ ذلِكَ ، فَسُرْعانَ ما سَأفارِقُ هذا العالَمَ .»

وَدَقَّتِ السّاعَةُ مُعْلِنَةً الحادِيَةَ عَشْرَةَ .

قالَ : « عَلَيَّ أنْ أسْرِعَ .» وَأخْرَجَ البُزورَ الثَّلاثَ مِنْ مِعْطَفِهِ ، وَكانَتْ لا تَزالُ في الوَرَقَةِ ذاتِها الَّتي لُفَّتْ بِها .

قالَ : « يا فَتاتي العَزيزَةَ ، لَقَدْ أحْبَبْتُ الزُّهورَ دائِماً ، وَأعْتَقِدُ أنَّني قَدْ تَوَصَّلْتُ إلى طَريقَةٍ لإنْباتِ زَنْبَقَةٍ سَوْداءَ . وَثَمَّةَ جائِزَةٌ قيمَتُها مِئَةُ ألْفِ غيلْدَر لِمَنْ يَسْتَطيعُ إنْباتَ زَنْبَقَةٍ سَوْداءَ . وَهَأنَذا أعْطيكِ هَذِهِ البُزورَ ، وَسَتَكونُ الجائِزَةُ هَدِيَّةً لَطيفَةً لَكِ عِنْدَما تَتَزَوَّجينَ . عِديني بِأنْ تَتَزَوَّجي فَتًى لَطيفاً يُحِبُّكِ قَدْرَ حُبّي لِلزُّهورِ .»

قالَتْ : « لكِنْ يا سَيِّدي ...»

قالَ : « دَعيني أكْمِلُ كَلامي . لَيْسَ لي إخْوَةٌ أوْ أخَواتٌ أوْ أيُّ

قَرِيبٍ في الدُّنْيا . وَأُمْنِيَّتي الوَحيدَةُ أَنْ تُطْلِقي اسْمي وَاسْمَكِ عَلى الزَّنْبَقَةِ حينَ تَنْبُتُ ؛ فَتُسَمِّيها زَنْبَقَةَ رُوزا – بارْل . وَالآنَ إِلَيَّ بِوَرَقَةٍ أَكْتُبُ لَكِ هذا عَلَيْها .»

وَأَعْطَتْهُ رُوزا كِتاباً وَقالَتْ : « هذا كِتابُ صَديقِكَ كُورْنِلْيَس دِي وِت ، فَاكْتُبْ عَلَيْهِ ما تَشاءُ ، وَمَعَ أَنّي لا أَعْرِفُ القِراءَةَ فَسَأَجِدُ مَنْ يَقْرَأُ لي ما سَتَكْتُبُهُ .»

وَكَتَبَ كُورْنِلْيَس ڤان بارْل ما يَلي :

في الخامس والعشرين من أغسطس عام ١٦٧٢ ، أهدي الى روزا غريفس ثلاث بزور أعتقد أنها ستنتج في شهر مايو المقبل الزنبقة السوداء . وهي الزهرة التي رصدت لها جمعية زراع الأزهار بمدينة لاهاي جائزة قدرها مئة ألف غيلدر لمن يتوصل الى انباتها . وأوصي بأن يهدى هذا المبلغ لروزا غريفس عند زواجها بفتى في مثل سني يحبها وتحبه . كما أوصي بأن يطلق على هذه الزنبقة اسم روزا - بارل . وهو مزيج من اسمينا معا . وأتمنى لها السعادة وطول العمر.

كورنليس ڤان بارل



وَقَرَأَ ڤان بارْل ما كَتَبَ ، وَسَأَلَها : « هَلْ توافِقينَ ؟»

أجابَتْ : « لا ، هذا المالُ لا يُمْكِنُ أنْ يَكونَ لي ، فَأنا لَنْ أُحِبَّ أحَداً ، وَلَنْ أتَزَوَّجَ !»

وَسُمِعَ وَقْعُ خُطُواتٍ تَصْعَدُ الدَّرَجَ .

قالَتْ رُوزا : « سَأَفْعَلُ أيَّ شَيْءٍ تَطْلُبُهُ مِنّي سِوى أنْ أتَزَوَّجَ ، إنَّني سَآخُذُ البُزورَ .» ، وَأَخَذَتْها وَضَمَّتْها إلى صَدْرِها .

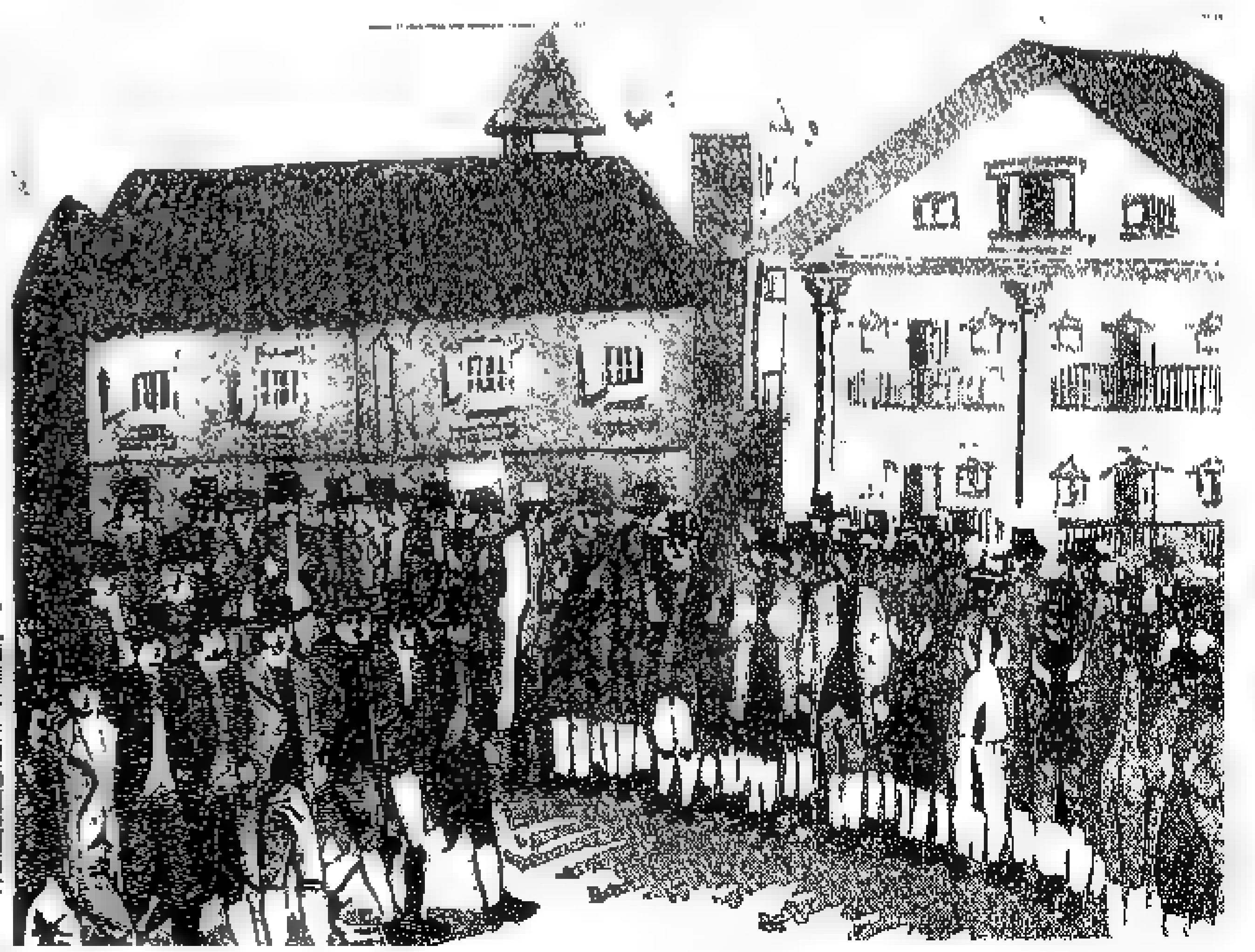
وَدَخَلَ الغُرْفَةَ ضابِطٌ يَتْبَعُهُ جُنودٌ ، فَتَهاوَتْ رُوزا عَلى الأَرْض وَقَدْ تَناثَرَ شَعْرُها الذَّهَبِيُّ عَلى وَجْهِها فَغَطَّى عَيْنَيْها المُغْمَضَتَيْن ، عَلى حين كانَتْ يَدُها لا تَزالُ تَقْبِضُ عَلى البُزورِ وَتَضُمُّها إلى صَدْرِها ، وَأَصابِعُها تُمْسِكُ بِالوَرَقَةِ الَّتي كانَتِ البُزورُ مَلْفوفَةً فيها ، وَالَّتي تَحْتَوي عَلى الرِّسالَةِ الَّتي كَتَبَها دِي وِت ، وَالَّتي لَوْ كانَ ڤان بارْل قَدْ قَرَأَها لأَنْقَذَتْ حَياتَه وَزَنابِقَهُ .

الفَصْلُ العاشِرُ

الإنْقاذُ

كانَ فِناءُ السِّجْنِ يَعِجُّ بِالنّاس ، وَكانَتْ تَتَوَسَّطُهُ رَبْوَةٌ وُضِعَتْ فَوْقَها كُتْلَةٌ خَشَبِيَّةٌ لِيَضَعَ السَّجينُ رَأْسَهُ عَلَيْها . وَ وَقَفَ بِجِوار هذِهِ الكُتْلَةِ الخَشَبِيَّةِ جَلّادٌ يُمْسِكُ بِيَدِهِ بَلْطَةً .

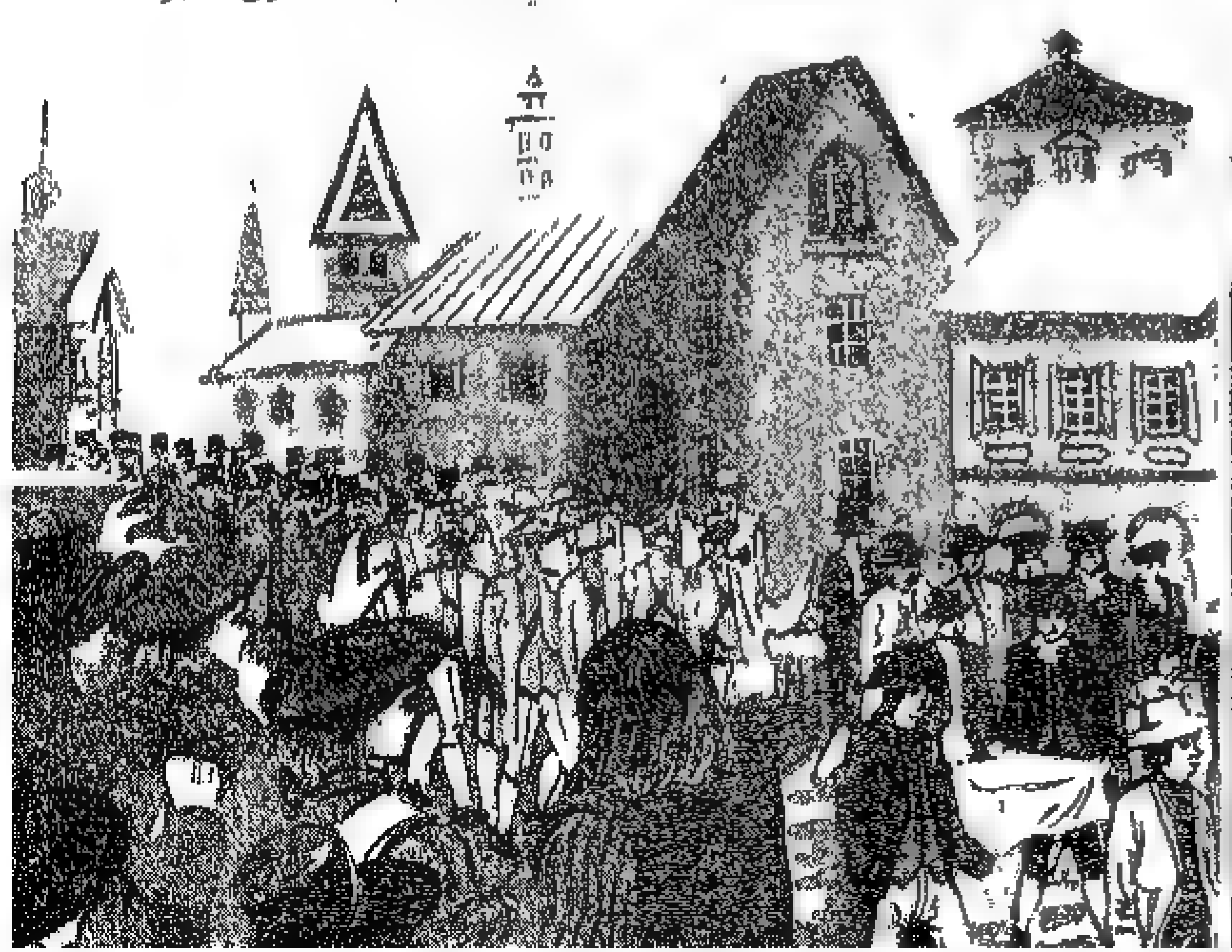
وَازْدادَ تَدافُعُ النّاس وَتَكَتُّلُهُمْ ، وَشَقَّ رَجُلٌ طَريقَهُ وَسْطَ الزِّحام .



وَكانَ ذلِكَ الرَّجُلُ هُوَ بُوكْستِل ، الَّذي اعْتَقَدَ أنَّ كُورْنِلْيَس ڤان بارْل سَيَحْمِلُ مَعَهُ بُزورَهُ حَتّى المَوْتِ ، لِذا تَوَجَّهَ إلى الجَلّادِ وَقالَ لَهُ: «إنَّني صَديقُ ڤان بارْل ، وَأَوَدُّ أنْ أتَوَلّى أمْرَ جُثَّتِهِ بَعْدَ إعْدامِهِ، وَسَأمْنَحُكَ مِئَةَ غِيلْدَر لَوْ سَمَحْتَ لي بِذلِكَ .»

أجابَهُ الجَلّادُ : «أجَلْ يُمْكِنُكَ أنْ تَأْخُذَ الجُثَّةَ ، وَلكِنْ عَلَيْكَ أنْ تَدْفَعَ لي أوَّلاً .»

وَدَفَعَ بُوكْستِل ، ثُمَّ وَقَفَ بِالقُرْبِ مِنَ المَكانِ الَّذي سَيُضْرَبُ فيه عُنُقُ ڤان بارْل . وَوَقَفَ النّاسُ يَتَرَقَّبونَ ، وَمَعَهُم بُوكْستِل . وَعِنْدَما



بدا ڤان بارْل خارِجاً مِنَ السِّجْن مالَتْ كُلُّ الرُؤوس تِجاهَهُ، فَبَدَتْ كَأنَّها سَنابِلُ قَمْح اجْتاحَتْها مَوْجَةٌ مِنَ الرِّياح . وَأفْسَحَ الجُنودُ لَهُ طَريقاً وَسْطَ النّاس ، وَانْطَلَقَتْ آهَةٌ عَميقَةٌ صَحِبَتْ خُطواتِ ڤان بارْل وهُوَ يَصْعَدُ الدَّرَجَ ، عَلى حينَ تَقَدَّمَ الجَلادُ لِيَلْقاهُ .

وَلَمْ يَكُنْ كُورْنلْيَس يُفَكِّرُ في النّاس أوِ البَلْطَةِ أوِ المَوْتِ ، وَلكِنَّهُ كانَ يُفَكِّرُ فَحَسْبُ في الزَّنابِقِ الجَميلَةِ الَّتي سَتُنْتِجُها بُزورُهُ الثَّلاثُ . وَبَلَغَ قِمَّةَ الدَّرَج ، وَرَكَعَ وَتَلا صَلاتَهُ .

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ كانَ بُوكْستِل يَقولُ لِنَفْسِهِ : « الآنَ سَتَهْوي البَلْطَةُ ، وَسَأظْفَرُ بِالزَّنابِقِ .»

وَخَفَضَ كُورْنلْيَس رَأسَهُ ، وَرَفَعَ الجَلادُ بَلْطَتَهُ ، وَكانَ بُوكْستِل يُحَدِّثُ نَفْسَهُ : « آهٍ ! واحِدٌ ، اثْنانِ ، ثَلاثَةٌ ...»

وَأخَذَ الجَلادُ يَهْبِطُ بِبَلْطَتِهِ بِبُطْءٍ حَتّى لامَسَ عُنُقَ كُورْنلْيَس ، الَّذي كانَ يُفَكِّرُ في زَنابِقِهِ ، وَفي شَعْرِ رُوزا الذَّهَبِيِّ .

وَرَفَعَ الجَلادُ بَلْطَتَهُ ثانِيَةً ، فَقالَ بُوكْستِل : « هَيّا فَهذِهِ المَرَّةُ...»

وَهَبَطَتِ البَلْطَةُ بِبُطْءٍ ، فَقَدْ كانَ لِزاماً عَلى الجَلادِ أنْ يَتَأكَّدَ مِنْ أنَّ الضَّرْبَةَ سَتُصيبُ المَوْضِعَ الصَّحيحَ مِنَ الرَّقَبَةِ .



وَكانَ ڤان بارْل يُفَكِّرُ في الزَّنابِقِ السَّوْداءِ الجَميلَةِ ، وَشَعْرِ روزا الذَّهَبِيِّ المُنْسَدِلِ فَوْقَ عَيْنَيْها المُغْمَضَتَيْن .

وَعادَتِ البَلْطَةُ تَرْتَفِعُ ، فَقالَ بوكْستِل لِنَفْسِهِ : « وَالآنَ سَتَهْوي البَلْطَةُ في هذِهِ المَرَّةِ الثّالِثَةِ . »

وَقالَ كُورْنلِيس لِنَفْسِهِ : « هَذِهِ هِيَ النِّهايَةُ ، وَكَمْ أَتَمَنّى أَنْ تَزْرَعَ روزا الزَّنابِقَ بِالطَّريقَةِ الصَّحيحَةِ . »

وَشَعَرَ كُورْنلِيس بِحَدِّ البَلْطَةِ ، وَلكِنْ ماذا حَدَثَ ؟! إِنَّهُ لا يَزالُ يَرى الأَشْجارَ ، وَالسَّماءَ الزَّرْقاءَ ، وَيَسْتَطيعُ أَنْ يَسْمَعَ أَصْواتَ النّاس العَميقَةَ وَالمُخْتَلِطَةَ ، وَكَأَنَّها طَنينُ النَّحْلِ في مَوْسِمِ الصَّيْفِ . إِنَّهُ لا يَزالُ حيًّا !

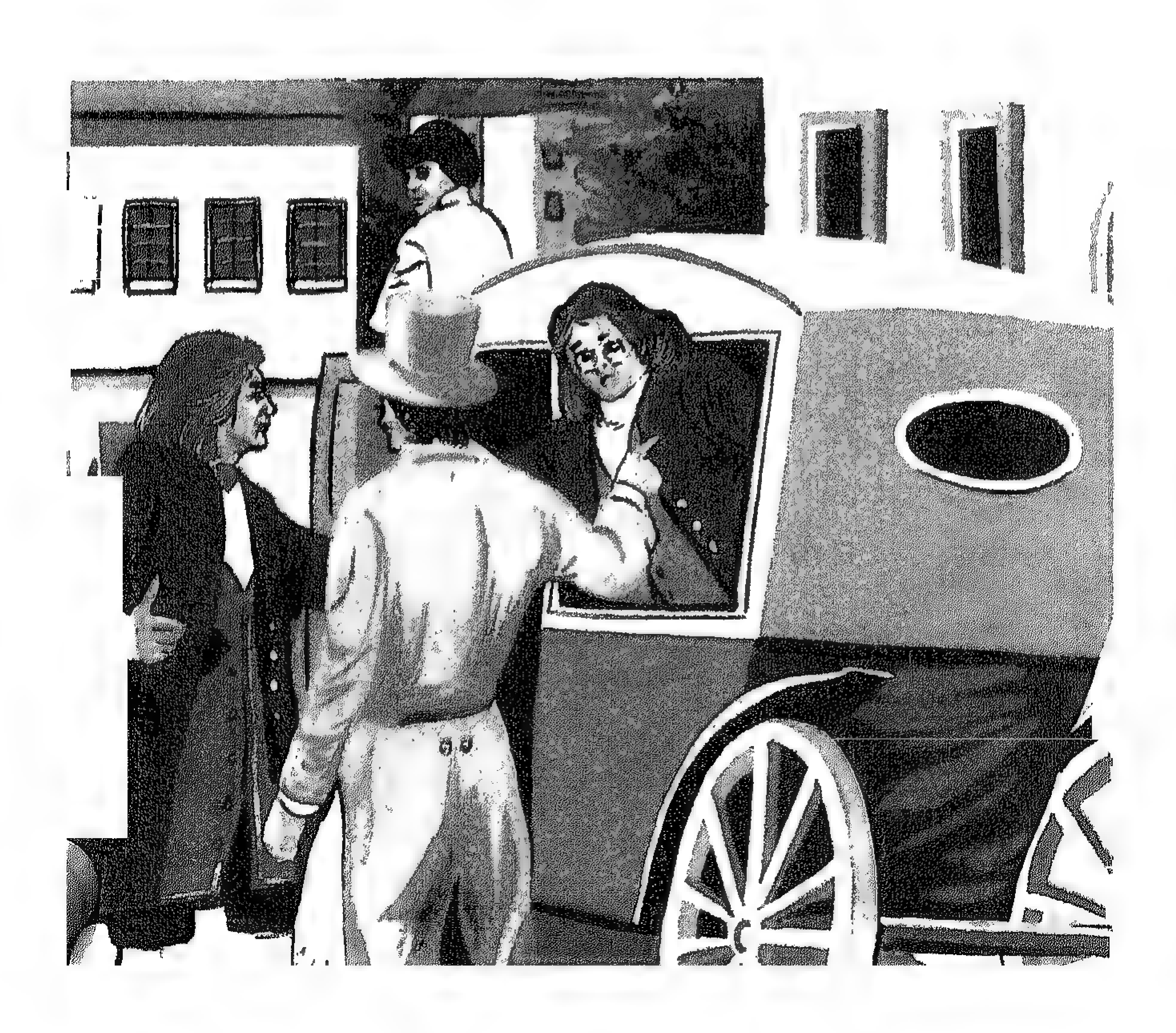
وَفَجْأَةً شَعَرَ ڤان بارْل بِيَدٍ رَقيقَةٍ تُساعِدُهُ عَلى النُّهوض . وَشاهَدَ بِجِوارِهِ ضابِطًا يُمْسِكُ قِطْعَةً كَبيرَةً مِنَ الوَرَقِ . وَسادَ الجَماهيرَ الصَّمْتُ ، عَلى حينَ أَخَذَ الضّابِطُ يَقْرَأُ ما كانَ مَكْتوبًا على الوَرَقَةِ . كانَ عَلَيْها أَمْرٌ مِنْ أَميرِ أُورانْج ، حاكِمِ هُولَنْدا ، بِأَنْ يُسْتَبْدَلَ بِإِعْدام كُورْنلِيس السِّجْنُ مَدى الحَياةِ .

قالَ كُورْنلِيس لِنَفْسِهِ : « حَسَنٌ ، فَهُناكَ روزا ، وَبُزورُ الزَّنابِقِ السَّوْداءِ الثَّلاث . » وَلَكِنَّهُ نَسِيَ أَنَّ في هُولَنْدا سَبْعَةَ سُجونٍ ، وَأَنَّ

الأمْرَ الحُكوميَّ يَقْضي بإيداعِهِ سِجْنَ لوفِستايْن بِالقُرْبِ مِنْ دُرْت ، وَأنَّ روزا لَنْ تكونَ في ذَلِكَ السِّجْن .

وَدَلَفَتْ عَرَبَةٌ إلى فِناءِ السِّجْنِ ، فَرَكِبَها ڤان بارْل ، وَمَضَتْ بِهِ.

وَكانَ ثَمَّةَ رَجُلٌ يُشَيِّعُها بِنَظَراتٍ غَضْبى ، وَلَمْ يَكُنْ هَذا الرَّجُلُ سِوى بوكْستِل .



الفَصْلُ الحادِيَ عَشَرَ

رسالة إلى دُرْت

كانَ كُورْنلَيس جالِساً في غُرْفَتِهِ ، في سِجْنِ لوفِستايْن ، لا يُفَكِّرُ إلا في زُهورِهِ ورُوزا . وَبدا لَهُ أَنَّهُ فَقَدَهُما إلى الأَبَدِ ، ولَكِنَّهُ كانَ مُخْطِئًا .

وَذاتَ صَباح وَقَفَ عِنْدَ النَّافِذَةِ يَسْتَنْشِقُ الهَواءَ النَّقِيَّ الَّذي يَهُبُّ مِنْ ناحِيَةِ النَّهْرِ ، وَيَتَطَلَّعُ بِبَصَرِهِ إلى مَدينَتِهِ الحَبيبَةِ دُرْت . وَبَيْنَما هُوَ واقِفٌ إِذْ رَأى جَماعاتٍ مِنَ الحَمام تَفِدُ مِنْ جِهَةِ المَدينَةِ ، وَتَحُطُّ عَلى سَقْفِ السِّجْن .

قالَ ڤان بارْل مُناجِياً نَفْسَهُ : « هَذِهِ جَماعاتٌ مِنَ الحَمام وافِدَةٌ مِنْ مَدينَةِ دُرْت ، وَسَوْفَ تَعودُ إِلَيْها ، فَإِذا عَلَّقْتُ وَرَقَةً بِساقِ واحِدَةٍ مِنْها اسْتَطَعْتُ أَنْ أَبْعَثَ بِرِسالَةٍ إلى دُرْت . وَلكِنَّني أَوَدُّ أَيْضاً أَنْ أَتَلَقّى رِسالَةً مِنْ دُرْت ، فَكَيْفَ يُمْكِنُني تَحْقيقُ ذلِكَ ؟ يَلْزَمُني لِهذا الغَرَض زَوْجٌ مِنَ الحَمام أُرَبِّيهِ ، وَعِنْدَئِذٍ سَيَطيرُ إلى دُرْت ثُمَّ يَعودُ إلى عُشِّهِ عِنْدي .»

وَدَأَبَ عَلى وَضْع فُتاتِ الخُبْزِ يومياً عَلى النَّافِذَةِ ، إلى أنِ اسْتَطاعَ أنْ يُمْسِكَ بِزَوْجَيْنِ مِنَ الحَمام . وَبَعْدَ بِضْعَةِ أسابيعَ باضَتِ الحَمامَةُ ، وَما إن رأى كُورْنِلْيس البَيْضَ حَتّى رَبَطَ في ساقِ الحَمامَةِ رِسالَتَيْن . وَطارَتِ الحَمامَةُ وَعادَتْ في المَساءِ ، وَكانَتِ الرِّسالَتانِ لا تَزالانِ مَرْبوطَتَيْن في ساقِها . وَعلى مَدى خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً أخَذَتِ الحَمامَةُ تَطيرُ إلى دُرْت وَتَعودُ مِنها وَالرِّسالَتانِ مَرْبوطَتانِ في ساقِها . وَ في اليَوْمِ السّادِسَ عَشَرَ عادَتْ بِدونِ الرِّسالَتَيْن .

كانَتِ الرِّسالَةُ الأولى مُوَجَّهَةً إلى خادِمَتِهِ العَجوز ، وَالثّانِيَةُ مُوَجَّهَةً إلى رُوزا . وَكانَتِ الخادِمَةُ العَجوزُ تَرْعى الحَمامَ في مَنْزِلِ سَيِّدِها ڤان بارْل كَعادَتِها ، عِنْدَما رَأتْ بَيْنَها حَمامَةً غَريبَةً في ساقِها رِسالَتانِ . وَتَوَصَّلَتْ بَعْدَ ذلِكَ إلى رُوزا وَأعْطَتْها رِسالَتَها .

وَذاتَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ فِبْراير (شُباط) تَناهى إلى سَمْع كُورْنِلْيس صَوْتٌ مُحَبَّبٌ إلى قَلْبِهِ يَصْعَدُ الدَّرَجَ ، وَ كانَ صَوْتَ رُوزا . وَكانَ في البابِ كُوَّةٌ صَغيرَةٌ بِها قُضْبانٌ حَديدِيَّةٌ ، رَأى مِنْ وَرائِها وَجْهَ رُوزا .

قالَتْ : « هأنَذا يا سَيِّدي !»

وَبَسَطَ كُورْنِلْيس يَدَيْهِ صائِحاً: « رُوزا !»

رَدَّتْ رُوزا : « اِخْفِضْ صَوْتَكَ فَوالِدي قَريبٌ مِنّي . إنَّه في الفِناءِ يَتَلَقّى أوامِرَهُ مِنْ رَئيس السِّجْن .»

سَأَلَها في دَهْشَةٍ : « يَتَلَقّى أوامِرَهُ ؟!»

قالَتْ رُوزا : « أجَلْ ، فَعِنْدَما تَلَقَّيْتُ رِسالَتَكَ ذَهَبْتُ إلى أميرِ أورانْج ، حاكِم البِلادِ ، وَالْتَمَسْتُ مِنْهُ أنْ يُنْقَلَ والِدي لِلْعَمَل في هذا السِّجْن. وَلَمْ يَعْرِفِ الأميرُ – بِطَبيعَةِ الحالِ – سَبَبَ التِماسي هذا ، وَلَكِنَّهُ اسْتَجابَ . وهَأَنَذا !»

« سَأَراكِ إذاً كُلَّ يَوْم ؟»

أجابَتْ رُوزا: « رُبَّما !»

سَأَلَها : « أيَّتُها العَزيزَةُ رُوزا ، أ لا تُكِنّينَ لي وَلَوْ قَليلاً مِنَ الحُبِّ ؟»

قالَتْ رُوزا : « ها هُوَ ذا أبي قَدْ أتى .»

وَكانَ غريفِس قَدْ وَصَلَ إلى أعْلى الدَّرَج .

الفَصْلُ الثّانِيَ عَشَرَ

زيارَةُ روزا

دَخَلَ غِريفِس غُرْفَةَ فانْ بارْل وَقالَ لَهُ: « لكَمْ تُدْهِشُني رُؤْيَتُكَ، فَأنا لَمْ أتَوَقَّعْ لِقاءَكَ مَرَّةً أخْرى .»

أجابَهُ كُورنِلْيس : « يَسُرُّني أنْ أرى ذِراعَكَ قَدْ تَحَسَّنَتْ .»

قالَ غِرِيفِس : « إنّني سَجّانُكَ الجَديدُ ، وَلَنْ أتَرَفَّقَ بِكَ ، فَلَسْتُ أومِنُ بِمُعامَلَةِ السُّجَناءِ مُعامَلَةً رَفيقَةً ؛ فَهُمْ يَعْرِفونَ كُلَّ أنْواعِ الحِيَلِ .» وَاتَّجَهَ ناحِيَةَ النّافِذَةِ وَقالَ : « هَذِهِ نافِذَةٌ جَميلَةٌ ، وَيُمْكِنُكَ أنْ تُطِلَّ مِنْها عَلى مَناظِرَ مُتَبايِنَةٍ .» وَطارَ الحَمامُ مَذْعوراً ، فَتَساءَلَ غِريفِس : « ما هَذا ؟!»

أجابَهُ كُورْنلْيس : « إنَّهُ حَمامي .»

صاحَ غِريفِس بِدَهْشَةٍ : « حَمامٌ ؟ أنا لا أسْمَحُ هُنا بِالحَمام . غَداً سَيُذْبَحُ هَذا الحَمامُ وَيُطْهى .»

وَأطَلَّ مِنَ النّافِذَةِ لِيَنْظُرَ إلى عُشِّ الحَمام ، فَلَمَسَتْ رُوزا يَدَ كُورْنلْيَس قائِلَةً : « في التّاسِعَةِ مَساءً .»

قالَ غريفِس مُؤَكّداً قَوْلَهُ وَهُوَ يَتّجِهُ ناحِيَةَ الباب: « أَجَلْ ، غَداً سَيُذْبَحُ هَذا الحَمامُ .» ثُمَّ مَضى وَ رُوزا في أَثَرِهِ ، وَأَغْلَقَ البابَ .

وَ عِنْدَما دَقّتِ السّاعَةُ التّاسِعَةُ كانَتْ رُوزا عِنْدَ بابِ غُرْفَةِ فَان بارْل .

قالَتْ : « هأنَذا ! إنَّ أبي يَنامُ كُلَّ لَيْلَةٍ بَعْدَ تَناوُلِ طَعام العَشاءِ؛ لِذا يُمْكِنُني أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ كُلَّ يَوْم في هذا المَوْعِدِ .»

أجابَها : « أَشْكُرُكِ يا عَزيزَتي رُوزا .»

قالَتْ : « جِئْتُ بِبُزورِكَ مَعي ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ قِراءَةَ رِسالَتِكَ ؛ لَكِنّني أَدْرَكْتُ أَنّكَ تُريدُها .»

قالَ: « وَكَذَلِكَ أُريدُكِ أَنْتِ .»

قالَتْ رُوزا : « وَ بُزورُكَ ؟» وَدَفَعَتْ بِها مِنْ خِلالِ كُوّةِ البابِ ، وَلَكِنَّ كُورْنلْيَس أعادَها إلَيْها قائِلاً: « لَيْسَ مِنَ المَأْمونِ الاحْتِفاظُ بِالبُزورِ الثّلاثِ مَعاً . وَيَنْبَغي أَنْ نَكونَ حَريصَيْنِ لِلْغايَةِ ، فَنَزْرَعَ بِزْرَةً

واحِدَةً في كُلِّ مَرَّةٍ . هَلْ لِهَذا السِّجْنِ حَديقَةٌ ؟»

أجابَتْ رُوزا : « أجَلْ ، لَهُ حَديقَةٌ جَميلَةٌ .»

قالَ : « أحْضِري لي قَليلاً مِنْ تُرْبَةِ الحَديقَةِ لِأرى صَلاحِيَتَها . وَسَوْفَ تَزْرَعينَ أنْتِ بِزْرَةً في الحَديقَةِ ، وَسَأزْرَعُ أنا بِزْرَةً في أصيص هذِهِ الغُرْفَةِ . وَسَوْفَ تَحْتَفِظينَ يا رُوزا بِالبِزْرَةِ الثّالِثَةِ ؛ وَبِذَلِكَ يَكونُ لَدَيْنا بِزْرَةٌ احْتِياطِيَّةٌ لَوْ حَدَثَ شَيْءٌ لِلْبِزْرَتَيْنِ الأخْرَيَيْنِ . وَبِهَذِهِ الطَّريقَةِ نَضْمَنُ الحُصولَ عَلى مِئَةِ ألْفِ الغيلْدَر اللازِمَةِ لِزَواجِكِ ؛ غَيْرَ أنَّهُ لا تَزالُ ثَمَّةَ أخْطارٌ عَديدَةٌ تَتَهَدَّدُنا .»

سَألَتْهُ رُوزا : « أيَّةُ أخْطار ؟»

أجابَها : « أوَّلُ خَطَرٍ يَتَمَثَّلُ في الفِئْرانِ فَهِيَ تَأْكُلُ البُزورَ . وَالخَطَرُ الثّاني يَتَمَثَّلُ في القِطَطِ ، فَكَثيرٌ مِنْ زُهوري في دُرْت أتْلَفَتْها القِطَطُ . وَالخَطَرُ الثّالِثُ – وَهُوَ الأكْبَرُ – يَتَمَثَّلُ في الإنْسانِ. إنَّ الإنْسانَ يودَعُ السِّجْنَ لَوْ سَرَقَ غيلدراً واحِداً ، فما الَّذي يُمْكِنُ أنْ يَفْعَلَهُ ذَلِكَ الإنْسانُ مِنْ أجْلِ الحُصولِ عَلى مِئَةِ ألْفِ الغيلْدر ؟»

قالَتْ رُوزا : « إنَّ نافِذَةَ غُرْفَتي تُطِلُّ عَلى الحَديقَةِ ، وَسَأرْعى النَّبْتَهَ رِعايَةً فائِقَةً ، وَسَأحْرُسُها مِنْ جَميعِ الأخْطارِ . وَلَمْ يَحْدُثْ أنْ

دَخَلَ أحَدٌ حَديقَةَ السِّجْن .»

قالَ كُورْنلْيَس : « أشْكُرُكِ أيَّتُها العَزيزَةُ رُوزا .»

وَهَكَذا أخَذَتْ رُوزا بِزْرَتَيْن ، وَبَقِيَتْ واحِدَةٌ مَعَ كُورْنلْيَس .

الفَصْلُ الثّالِثَ عَشَرَ

دَرْسٌ في تَعَلُّم القِراءَةِ

جَلَبَتْ رُوزا لِكُورْنِلْيَس بَعْضَ الطَّمْيِ مِنَ الحَديقَةِ ، فَوَضَعَهُ في أصيصٍ في غُرْفَتِهِ في السِّجْن . وَفي أوَّلِ إبْريل زَرَعَ البِزْرَةَ الأولى .

وَكانَتْ رُوزا تأتي لِزِيارَةِ كُورْنِلْيَس كُلَّ مَساءٍ فَيَتَحَدَّثانِ عَن الزَّنابِقِ وَأُمورٍ أخْرى .

وَأعَدَّتْ رُوزا مَكاناً في الحَديقَةِ بَعيداً عَن الأشْجار وَالجُدْرانِ لِزَرْعِ البِزْرَةِ الثّانِيَةِ . وَحينَ أبْلَغَتْ كُورْنِلْيَس بِما فَعَلَتْهُ ، قالَ لَها : « أحْسَنْتِ يا رُوزا ! تأكَّدي أنَّكِ سَتَرْبَحينَ مِئَةَ ألْفِ الغيلْدَر ، وَلكِنَّني أخْشى شَيْئاً واحِداً .»

سَألَتْهُ: « ما هُوَ ؟»

أجابَها : « أخْشى أنْ يَنْتَقِلَ والِدُكِ مِنْ هذا السِّجْن ؛ وَإذا حَدَثَ فَكَيْفَ أراسِلُكِ ؟»

قــالَتْ رُوزا : « يُمْكِنُكَ أنْ تَكْتُبَ إلـيَّ يـا كُورْنِلْيَس ، وَلكـنّي أجْهَلُ الـقِراءَةَ ، فَكَيْفَ أقْرَأُ رَسـائِلَكَ ؟ يَجِبُ عَلَيْكَ إذاً أنْ تُعَلِّمَني القِراءَةَ وَالكِتابَةَ ، وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ لَنْ نَفْتَرِقَ أبداً .»

سَأَلَها كُورْنِلْيَس : « وَمَتى نَبْدَأُ ؟»

أجابَتْهُ : « الآنَ .»

قالَ مُتَعَجِّباً : « الآنَ ! وَلكِنْ لَيْسَ لَدَيْنا كُتُبٌ نَقْرَأُها .»

قالَتْ : « بَلْ لَدَيْنا كِتابٌ ، وَهُـوَ ذَلِكَ الَّذي أعْطانيهِ كُورْنِلْيَس



دِي وِت ، وَ سَوْفَ أُحْضِرُهُ مَعي مَساءَ الغَدِ ، فَتَبْدَأُ في تَعْليمي .»

وَ في مَساءِ اليَوْمِ التّالي أَحْضَرَتْ رُوزا الكِتابَ . وَكانا دائِمًا ما يَتَبادَلانِ الحَديثَ خِلالَ كُوَّةِ البابِ ، الَّتي تَسُدُّها القُضْبانُ . وَكانَتْ رُوزا في البِدايَةِ تَرْفَعُ الكِتابَ بِيَدٍ أَمامَ كُوَّةِ البابِ ، وَتُمْسِكُ المِصْباحَ بِيَدِها الأُخْرى . وَفيما بَعْدُ ثَبَّتَ كُورْنِلْيَس الكِتابَ في الكُوَّةِ بِقِطْعَةٍ مِنَ الخَشَبِ ، وَبِذَلِكَ أَصْبَحَتْ يَدُ رُوزا حُرَّةَ الحَرَكَةِ . وَكانَ يُشيرُ إِلى الكَلِماتِ كَلِمَةً كَلِمَةً فَتَقْرَأُها رُوزا . وَكانَ ضَوْءُ المِصْباحِ يَنْعَكِسُ عَلى شَعْرِها الذَّهَبِيِّ ، وَعَلى أُصْبُعِها الدَّقيقِ وَهُوَ يُتابِعُ الأَسْطُرَ المَطْبوعَةَ . وَأَحْرَزَتْ رُوزا في التَّعَلُّمِ تَقَدُّمًا سَريعًا .

الفَصْلُ الرّابعَ عَشَرَ

البِزْرَةُ الأولى

جاءَتْ رُوزا مُتَأَخِّرَةً عَنْ مَوْعِدِها المُعْتادِ نِصْفَ ساعَةٍ ، وَقالَتْ مُعْتَذِرَةً: « لا تَغْضَبْ ! فَقَدْ جاءَ صَديقٌ قَديمٌ لِوالِدي ، وَطَلَبَ أنْ يَزورَ السِّجْنَ . إنَّهُ يُسَلّي والِدي ، ويُعْطيهِ نُقوداً .»

سَأَلَها كُورْنِلْيس : « أ هَذا هُوَ كُلُّ ما تَعْلَمينَ عَنْ هَذا الرَّجُلِ ؟ أ واثِقَةٌ أَنْتِ مِنْ أنَّ الحُكومَةَ لَمْ تُرْسِلْهُ لِيَتَجَسَّسَ عَلى السُّجَناءِ وَحُرّاسِ السِّجْنِ ؟»

أجابَتْهُ: « لا أَعْتَقِدُ ذَلِكَ ! وَعَلى مَنْ يُمْكِنُ أنْ يَتَجَسَّسَ ؟ أ عَلى والِدي ؟»

قالَ كُورْنِلْيس : « لَعَلَّهُ قَدْ أُرْسِلَ لِيراقِبَني انا ، أَوْ لَعَلَّهُ يَوَدُّ أنْ يَتَزَوَّجَكِ .»

قالَتْ رُوزا : « لَقَدْ سَبَقَ أنْ جاءَ هَذا الرَّجُلُ إلى السِّجْنِ في مَدينَةِ لاهاي ، عِنْدَما كُنْتَ أَنْتَ سَجيناً هُناكَ . وَعِنْدَما جِئْتَ إلى

هُنا جاءَ هُوَ بِدَوْرِهِ ؛ وَعِنْدَما كُنْتَ أَنْتَ في سِجْنِ لاهاي قالَ إِنَّهُ يَوَدُّ أَنْ يَراكَ . وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ بِالأَمْسِ يَقولُ لِوالِدي إِنَّهُ لا يَعْرِفُكَ . أَ واثِقٌ أَنْتَ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ صَديقاً لَكَ ؟»

أجابَها: « أَجَلْ ، فَلَيْسَ لي أَصْدِقاءُ سِوى خادِمَةِ بَيْتي العَجوز .»

قالَتْ رُوزا : « كُنْتُ مَساءَ الأَمْسِ في الحَديقَةِ ، أُعِدُّ التُّرْبَةَ لِزِراعَةِ البِزْرَةِ ، فَرَأَيْتُ شَبَحاً يَتَحَرَّكُ بَيْنَ الأَشْجار ، وَتَبَيَّنَ لي أَنَّهُ هُوَ ذَلِكَ الرَّجُلُ . وَقَدْ كانَ يُراقِبُني .»

قالَ : « إِنَّهُ مُغْرَمٌ بِكِ . أَ هُوَ شابٌّ ؟ أَ هُوَ جَميلُ الطَّلْعَةِ ؟»

قالَتْ رُوزا : « لا ، إِنَّهُ قَبيحُ الطَّلْعَةِ ، وَهُوَ في حَوالى الخَمْسينَ مِنْ عُمْرِهِ .»

سَأَلَها : « ما اسْمُهُ ؟»

أَجابَتْ : « جاكوب جِسِّلْز .»

قالَ كُورْنِلْيَس : « أَنا لا أَعْرِفُهُ .»

سَأَلَتْهُ رُوزا : « هَلْ زَنْبَقَتُكَ تَنْمو كَما تَوَدُّ ؟»

أَجابَها كُورْنِلْيَس : « أَجَلْ . رَأَيْتُ الوُرَيْقاتِ الأُولى صَباحَ اليَوْم

وَهِيَ تَشُقُّ التُّرْبَةَ . إنَّ الآمالَ الكِبارَ تُراوِدُني .»

سَأَلَتْهُ : « وَمَتى أَزْرَعُ بِزْرَتي ؟»

أجابَها : « لَمْ يَحِنِ الوَقْتُ بَعْدُ . وَسَوْفَ أُخْبِرُكِ بِالمَوْعِدِ ، وَلكِنْ لا تُخْبري أَحَداً بِذَلِكَ ؛ إنَّهُ سِرٌّ بَيْنَنا . أ ما زِلْتِ تَحْتَفِظينَ بِالبِزْرَةِ الثَّالِثَةِ ؟»

أجابَتْهُ : « أَجَلْ ، وَهِيَ لا تَزالُ في الوَرَقَةِ الَّتي أَعْطَيْتَني إِيَّاها ، وَقَدْ أَخْفَيْتُها في طَيَّاتِ مَلابِسي . يَنْبَغي أَنْ أَنْصَرِفَ الآنَ ، وَيُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّني سَمِعْتُ وَقْعَ أَقْدام عَلى الدَّرَج . وَلَكِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ خُطُواتِ أَبي !»

وَأَسْرَعَتْ روزا نَحْوَ الدَّرَج ، وَلَكِنَّها لَمْ تَجِدْ أَحَداً .

وَفي الأَيَّام الثَّلاثَةِ التَّالِيَةِ كانَ غريفِس يَأْتي إلى غُرْفَةِ كُورْنلْيس في أَوْقاتٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ ، وَبَدا وَكَأَنَّهُ يُحاوِلُ أَنْ يَكْتَشِفَ سِراً . وَكانَ كُورْنلْيس قَدْ وَضَعَ زَنْبَقَتَهُ خارِجَ النَّافِذَةِ بِحَيْثُ لا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ أَنْ يَراها . وَلَمْ يَسْتَطِعْ غريفِس أَنْ يَكْتَشِفَ شَيْئاً ، وَلَكِنَّهُ في اليَوْم الثَّامِنِ ، عِنْدَما فَتَحَ بابَ الغُرْفَةِ فَجْأَةً ، وَجَدَ كُورْنلْيس يَتَطَلَّعُ إلى نَبْتَتِهِ ، فَانْدَفَعَ نَحْوَهُ وَأَمْسَكَ بِالأَصيص قائِلاً: « ما الَّذي تُخَبِّئُهُ هُنا ؟

لقَدْ أمْسَكْتُ بِكَ مُتَلَبِّساً . أصيصٌ بِهِ طَمْيٌ ؟!» وَغَرَزَ غريفِس أصابِعَهُ في الطَّمْيِ .

صاحَ كُورْنلِيس : « حَذارِ !» وَانْتَزَعَ الأصيصَ مِنْهُ .



قالَ غريفِس : « أ تَنْوي الشِّجارَ مَعي ؟ أ أستَدْعي لَكَ الجُنودَ ؟» وَاستَوْلى عَلى الأصيص مَرَّةً أخْرى ، وَانْتَزَعَ مِنْهُ النَّبْتَةَ وَرَمى بِها عَلى الأرْضِ ، وَداسَها بِقَدَمِهِ .

صَرَخَ كُورْنلْيَس غاضِباً ، وَانْتَزَعَ مِنْهُ الأصيصَ ، وَهَمَّ بأنْ يَقْذِفَ بِهِ غريفِس عِنْدَما سَمِعَ رُوزا تَصيحُ: « أبي ! أبي !»

أجابَها أبوها : « ماذا تَفْعَلينَ هُنا ؟ إنَّ هذا لَيْسَ مِنْ شَأنِكِ .»

وَ صَرَخَ كُورْنلْيَس وَ هُوَ يَرْفَعُ بَقايا الزَّنْبَقَةِ المُتَناثِرَةِ عَلى الأرْضِ : « آهِ يا زَنْبَقَتي ! يا زَنْبَقَتي !»

وَهَمَسَتْ رُوزا لَهُ في صَوْتٍ خافِتٍ لا يَسْمَعُهُ غريفِس: « سَأزْرَعُ البِزرَةَ الثّانِيَةَ غَداً .» وَسَمِعَتْ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ خُطُواتٍ تَصْعَدُ الدَّرَجَ، فَقالَتْ رُوزا لأبِيها : « هَذا هُوَ السَّيِّدُ جاكوب . إنَّهُ يُريدُ لِقاءَكَ .»

صاحَ غريفِس : « إنَّني قادِمٌ . اِسْبِقيني يا رُوزا . هَيّا !» وَأغْلَقَ بابَ الغُرْفَةِ الضَّخْمَ ، وَتَناثَرَتْ آمالُ كورْنلْيَس عَلى أرْضِها الحَجَرِيَّةِ .

الفَصْلُ الخامِسَ عَشَرَ

خُطَّةُ كُورْنِلِيَس

عادَتْ رُوزا في المَساءِ ، وَقالَتْ: « قالَ أبي إنَّهُ سَيُصَرِّحُ لَكَ بِزَرْعِ الزَّنابِقِ إذا رَغِبْتَ .»

سَأَلَها : « وَما الَّذي دَعاهُ إلى أنْ يُغَيِّرَ رَأْيَهُ ؟»

أجابَتْ : « لَقَدْ غَضِبَ صَديقُهُ جاكوب غَضَباً شَديداً عِنْدَما حَكى لَهُ أبي عَن الزَّنْبَقَةِ . وَمِنْ فَرْطِ غَضَبِهِ احْمَرَّتْ عَيْناهُ ، وَلَقَدْ ظَنَنْتُ عِنْدَئِذٍ أنَّهُ سَيَعْتَدي عَلى أبي بِالضَّرْبِ ، وَصَرَخَ فيهِ : « أ فَعَلْتَ هَذا ؟! أنْتَ أتْلَفْتَ البِزْرَةَ ؟! أ أَلْقَيْتَ بِها عَلى الأرْضِ وَدُسْتَها بِقَدَمِكَ ؟! يالَها مِنْ فَعْلَةٍ شَنْعاءَ !» وَكانَتْ دَهْشَةُ والِدي بالِغَةً ، عَلى حينَ واصَلَ السَّيِّدُ جاكوب صِياحَهُ: « هَلْ جُنِنْتَ ؟! لَقَدْ أتْلَفْتَ البِزْرَةَ ! لَقَدْ سَحَقْتَها بِقَدَمِكَ !» ثُمَّ الْتَفَتَ ناحِيَتي وَسَأَلَني : « هَلْ كانَتْ تِلْكَ هِيَ البِزْرَةَ الوَحيدَةَ لَدَيْهِ ؟ هَلْ لَدَيْهِ بِزْرَةٌ أُخْرى ؟» غَيْرَ أنّي لَمْ أُجِبْهُ .

« وَقالَ أبي : « بِوُسْعِكَ أنْ تَشْتَرِيَ مِئَةَ بِزْرَةٍ مِنَ المَدينَةِ بِما

يساوي غِيلْدَرًا واحِدًا .» فَعَلَّقْتُ قائِلَةً: « لَعَلَّ البِزْرَةَ الأخْرى لَيْستْ ثَمينَةً كَتِلْكَ البِزْرَةِ .»

« قالَ جاكوب : « إذًا ، يا عَزيزَتي روزا ، فَأَنْتِ تَعْتَقِدينَ أَنَّ البِزْرَةَ كانَتْ ثَمينَةً .» فَأَدْرَكْتُ أَنَّني قَدِ ارْتَكَبْتُ خَطَأً ، فَقُلْتُ : « إِنَّني لا أَدْري عَنْها شَيْئًا ، لأَنَّني لا أَعْلَمُ شَيْئًا عَلى الإِطْلاقِ عَنِ الزَّنابِقِ . وَكُلُّ ما أَعْرِفُهُ هُوَ أَنَّ السُّجَناءَ يُحِبّونَ كُلَّ ما مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُساعِدَهُمْ عَلى تَمْضِيَةِ الوَقْتِ ، وَعَلى هَذا فَهُوَ ثَمينٌ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ . لَقَدْ كانَ السَّيِّدُ ڤان بارْل سَعيدًا بِبِزْرَتِهِ سَعادَةً كَبيرَةً ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ القَسْوَةِ أَنْ نَسْلُبَهُ الشَّيْءَ الوَحيدَ الَّذي يُسْعِدُهُ .»

« وَقالَ والِدي : « وَلَكِنْ ، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، يَنْبَغي أَنْ نَعْرِفَ كَيْفَ حَصَلَ عَلى هَذِهِ البِزْرَةِ ؟ مِنْ أَيْنَ جاءَ بِها ؟»

« فَأَدَرْتُ عَيْنَيَّ بَعيدًا حَتّى لا تَلْتَقِيا بِعَيْنَيْ أَبي ، وَلَكِنَّهُما الْتَقَتا بِعَيْنَيْ جاكوب ، وَقَدْ بَدا وَكَأَنَّهُ يُحاوِلُ أَنْ يَقْرَأَ أَفْكاري ، فَنَهَضْتُ وَاتَّجَهْتُ ناحِيَةَ البابِ .

« وَقالَ جاكوب : « لَيْسَ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ نَتَبَيَّنَ ذَلِكَ .»

« سَأَلَ أَبي : « كَيْفَ ؟»

« أجابَ جاكوب : « لعَلَّهُ كانَ لدَيْهِ ثَلاثُ بُزورٍ ، فالَّذينَ يَزْرَعونَ الزَّنابِقَ يَحْتَفِظونَ بِثَلاثِ بُزورٍ ؛ فَفَتِّشْ مَلابِسَهُ فَلَعَلَّهُ يَحْتَفِظُ في طَيَّاتِها بِالأُخْرَيَيْنِ » .»

صاحَ كُورْنِلْيس مُنْزَعِجاً : « هَلْ قالَ إنَّ لَدَيَّ ثَلاثَ بُزورٍ ؟! هَلْ قالَ ذَلِكَ ؟»

قالَتْ رُوزا : « أَجَلْ ، وَقَدْ دُهِشْتُ أنا نَفْسي لِهَذا . وَقَدْ قالَ لأَبي : ‹‹ اُنْقُلْهُ إلى غُرْفَةٍ أُخْرى ، وَفَتِّشْ مَلابِسَهُ عَلى حينِ أَتَوَلّى أنا تَفْتيشَ الغُرْفَةِ أَثناءَ غِيابِهِ عَنْها ›› .»

قالَ كُورْنِلْيس : « السَّيِّدُ جاكوب هذا لِصٌّ يُحاوِلُ أَنْ يَسْرِقَ بُزوري .»

قالَتْ رُوزا : « أَجَلْ ، هَذا هُوَ ما أَعْتَقِدُهُ أنا أَيْضاً .»

قالَ كُورْنِلْيس : « قُلْتِ لي إنَّهُ عِنْدَما كُنْتِ تُعِدّينَ التُّرْبَةَ في الحَديقَةِ لِزِراعَةِ البِزْرَةِ كانَ ثَمَّةَ رَجُلٌ يَتْبَعُكِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

أَجابَتْ رُوزا : « بَلى .»

قالَ كُورْنِلْيس : « وَقَدْ رَأَيْتِهِ يَتَحَرَّكُ وَسْطَ الأَشْجارِ ؟»

أَجابَتْ : « أَجَلْ .»

قالَ: « إذاً فَقَدْ رَأى كُلَّ ما فَعَلْتِهِ .»

أجابَتْهُ: « أجَلْ .»

قالَ: « إنَّهُ لَمْ يَكُنْ في الحَقيقَةِ يَتَتَبَّعُكِ أنْتِ .»

سَألَتْهُ روزا: « فَمَنْ كانَ يَتَتَبَّعُ إذاً ؟»

أجابَها: « كانَ يَتَتَبَّعُ بُزوري .»

سَألَتْهُ روزا: « لِماذا ؟»

قالَ كُورْنِلْيَس: « هَلْ لَكِ أنْ تَتَأكَّدي مِنْ صَوابِ قَوْلي ؟ إنَّ ذَلِكَ أمْرٌ بالِغُ اليُسْرِ .»

سَألَتْهُ: « قُلْ لي كَيْفَ ؟»

قالَ: « اِذْهَبي غَداً إلى الحَديقَةِ ، وَتَأكَّدي مِنْ أنَّ جاكوب يَعْرِفُ أنَّكِ ذاهِبَةٌ ، حَتَّى يَتَتَبَّعَكِ . وَتَظاهَري بِأنَّكِ تَضَعينَ البِزْرَةَ في التُّرْبَةِ ، ثُمَّ غادِري الحَديقَةَ وَراقِبي ما يَفْعَلُهُ مِنْ خِلالِ فُتْحَةِ البابِ.»

سَألَتْهُ: « ماذا بَعْدَ ذَلِكَ ؟»

أجابَها: « سَنَرى ما سَنَفْعَلُهُ .»

قالتْ روزا بِأسًى : « إنّكَ تُحِبُّ بُزورَكَ حُبًّا شَديدًا ».

قالَ لها : « أجَلْ ، فَعِنْدَما داسَ أبوكِ تِلْكَ البِزْرَةَ أحْسَسْتُ كَأنّهُ يَدوسُ قَلْبي ، فَأرْجوكِ أنْ تَعْتَني بِتِلْكَ البِزْرَةِ الثّانِيَةِ الّتي سَتَغْرِسينَها في حَديقَتِكِ عِنايَةَ الأمِّ بِطِفْلِها ، أوْ عِنايَةَ الجُنْديِّ بِقائِدِهِ الجَريحِ ».



أجابَتْهُ : « سَأَفْعَلُ ما تُرِيدُ .»

وَواصَلَ كُورْنلِّيس حَديثَهُ قائِلاً: « إذا اكْتَشَفَ جاكوب ، أوْ أبوكِ أنَّ البِزْرَةَ لي ؛ فَانْقَطِعي عَنْ رُؤْيَتي – اِنْقَطِعي عَنْ رُؤْيَتي بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ لي أحَدٌ سِواكِ في هَذِهِ الدُّنْيا .»

قالَتْ رُوزا بِأسًى : « إنَّني لا أرى سِوى شَيْءٍ واحِدٍ .»

سَأَلَها : « ماذا تَرَيْنَ ؟»

أجابَتْ : « أرى أنَّ زَنابِقَكَ تَمْلأُ عَلَيْكَ نَفْسَكَ ، فَلا تَتْرُكُ مَكانًا في قَلْبِكَ لأيِّ حُبٍّ آخَرَ !» وَانْصَرَفَتْ مُسْرِعَةً .

باتَ كُورْنلِّيس تِلْكَ اللَّيْلَةَ ساهِدًا ، فَلَمْ يَطْرُقِ النَّوْمُ جَفْنَيْهِ . فَعاشِقُ الزَّنابِقِ هَذا ، وَيا لَلْعَجَبِ ! لَمْ يَشْعُرْ بِالأَسَفِ لِفَقْدِهِ زَنْبَقَتَهُ قَدْرَ ما شَعَرَ لِفَقْدِهِ رُوزا .

وَعِنْدَما نامَ راوَدَتْهُ أحْلامٌ لَمْ يَرَ فيها زَنابِقَ ، وَإنَّما رَأى رُوزا .

الفَصْلُ السّادِسَ عَشَرَ

رُوزا

غَضِبَتْ رُوزا ، وَرَقَدَتْ في فِراشِها ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَخْلُدْ لِلنَّوْم . وَقَرَّرَتْ وَهِيَ راقِدَةٌ أَلا تَزورَ كُورْنِلْيَس مَرَّةً أُخْرى ، وَأَنْ تَسْتَمِرَّ في دُروسِها بِمُفْرَدِها .

وَ في الصَّباحِ جَلَسَتْ لِتَقْرَأَ في كِتابِها ، ثُمَّ تَدَرَّبَتْ عَلى الكِتابَةِ . وَكانَتْ تَأْمُلُ أَنْ يَكونَ في اسْتِطاعَتِها بَعْدَ ثَمانِيَةِ أَيّام أَنْ تَكْتُبَ رِسالَةً لِكُورْنِلْيَس عَنْ زَنْبَقَتِهِ .

وَعِنْدَما اسْتَيْقَظَ كُورْنِلْيَس في الصَّباحِ ، تَساءَلَ إِذا كانَتْ رُوزا سَتَأْتي لِزِيارَتِهِ في المَساءِ . وَتَساءَلَ عَنِ السَّبَبِ الَّذي جَعَلَهُ يُعَبِّرُ لَها عَنْ حُبِّهِ الجارِفِ لِزَهْرَةِ الزَّنْبَقِ ، وَعَمّا جَعَلَهُ يَطْلُبُ إِلَيْها أَلا تَأْتِيَ لِزِيارَتِهِ إِذا تَبَيَّنَتْ أَنَّ والِدَها وَجاكوب يُراقِبانِها .

وَحَلَّ المَساءُ ، فَعادَ كُورْنِلْيَس يَتَساءَلُ عَنِ السَّبَبِ الَّذي جَعَلَهُ يَتْرُكُها تَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُحِبُّ زَنْبَقَتَهُ أَكْثَرَ مِمّا يُحِبُّها .

وَظَلَّ كُورْنلْيَس يَنْتَظِرُ . وَدَقَّتِ السَّاعَةُ السَّابِعَةَ ، ثمَّ الثَّامِنَةَ ثُمَّ التَّاسِعَةَ .

وَسادَ السُّكونُ . وَوَضَعَ كُورْنلْيَس يَدَهُ عَلى قَلْبِهِ ، وَأَنْصَتَ عَساهُ يَسْمَعُ وَقْعَ خُطُواتِ رُوزا . وَدَقَّتِ السَّاعَةُ العاشِرَةَ ، فَقالَ لِنَفْسِهِ : « إنَّها لَنْ تَأْتِيَ لِزِيارَتي بَعْدَ ذَلِكَ أَبَداً . »

وَحانَتِ السَّاعَةُ الحادِيَةَ عَشْرَةَ ، فَاسْتَلْقى كُورْنلْيَس في فِراشِهِ دونَ أَنْ يُغَيِّرَ مَلابِسَهُ .

وَدَقَّتِ السَّاعَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ . وَكانَتْ لَيْلَةً طَويلَةً حَزينَةً لِكُورْنلْيَس، وَكانَ اليَوْمُ التَّالي كَذَلِكَ يَوْماً طَويلاً وَحَزيناً .

وَحَلَّ الأَسْبوعُ ، مِنْ شَهْرِ إِبْريل ، الَّذي يَغْرِسُ فيهِ زُرَّاعُ الأَزْهارِ بُزورَهُمْ . وَكانَ كُورْنلْيَس قَدْ قالَ لِرُوزا إنَّهُ سَيُخْبِرُها بِاليَوْمِ الَّذي تَغْرِسُ فيهِ البِزْرَةَ . كانَ الطَّقْسُ مُناسِباً ، وَالهَواءُ دافِئاً . تُرى أَتُضَيِّعُ رُوزا الفُرْصَةَ اليَوْمَ ؟ تُرى هَلْ يَرى رُوزا وَزَنْبَقَتَهُ مِنْ جَديدٍ؟

وَمَرَّ يَوْمٌ ثالِثٌ ، وَلَمْ يَعُدْ كُورْنلْيَس يُطيقُ النَّوْمَ أَوِ الطَّعامَ . وَكانَ يُطِلُّ بِرَأْسِهِ خارِجَ نافِذَتِهِ عَلَّهُ يَرى رُوزا في الحَديقَةِ – رُوزا وَزَنْبَقَتَهُ .

وَمَرَّ يَوْمٌ رابِعٌ ، وَأَحْضَرَ غْرِيفِس طَعامَ السَّجين ، وَلَكِنَّهُ حَمَلَهُ مَرَّةً

أخرى دونَ أنْ يمسَّ ، فقال محدثًا نفسه: « يبدو أنّنا سنفقدُ قريبًا نزيلنا زارعَ الزّنابقِ ، وسيخرجُ مِنَ السّجْن محمولاً في صندوقٍ . إنّه سيتركُ السّجْنَ ميّتًا !»

وفي صباح اليوْم السّابع نهضَ كُورنلِيس مِنْ فراشه فرأى رسالةً دُسّتْ تحْتَ عقِبِ البابِ . وقدْ جاءَ فيها :

« إنَّ كُلَّ شيْءٍ على ما يُرامُ ، فزنبقتُكَ تنمو بِصورةٍ طيّبةٍ .»

وكتبَ كُورنلِيس ردًا على الرّسالَةِ قالَ فيهِ: « إنّني لسْتُ مريضًا بِسَبَبِ الزّنْبقَةِ ، ولكِنّني مريضٌ لأنّكِ لا تأتينَ لِزيارتي .»

وأحْضرَ غريفِس طعامَ المساءِ ، وعادَ واستردّهُ . وبعْدَ ذلِكَ وضعَ كُورنلِيس الرّسالَةَ تحْتَ عقِبِ البابِ .

وأخذَ ينْصِتُ ، ولكِنّهُ لمْ يسْمَعْ وقْعَ خُطُواتِ رُوزا ، ومعَ ذلِكَ جاءهُ صوتُها عبْرَ ظلامِ اللّيْلِ هامِسًا: « غدًا .»

الفَصْلُ السّابعَ عَشَرَ

البِزْرَةُ الثّانِيَة

دَقَّتِ السّاعَةُ الثّامِنَةَ ، وَسَمِعَ كُورْنِلْيَس صَوْتًا عِنْدَ البابِ ، ثُمَّ رأى رُوزا تَقِفُ بِهِ وَالمِصْباحُ في يَدِها .

وَرَأَتْ رُوزا كَمْ بَدا حَزِينًا ، وَكَمْ كانَ وَجْهُهُ شاحِبًا .

سَأَلَتْهُ : « هَلْ أَنْتَ مَرِيضٌ يا كُورْنِلْيَس ؟ »

أجابَها : « أَجَلْ . » فَقَدْ كانَ سَقِيمَ الذِّهْنِ وَالجَسَدِ .

قالَتْ رُوزا : « عَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَتَناوَلُ طَعامَكَ ، وَقالَ أبي إِنَّكَ كُنْتَ تُلازِمُ الفِراشَ طَوالَ اليَوْمِ ، وَلِذا أَرْسَلْتُ رِسالَةً لأُزِيلَ مَخاوِفَكَ عَلى ذَلِكَ الشَّيْءِ الَّذي تُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ أيِّ شَيْءٍ في الدُّنْيا . »

قالَ كُورْنِلْيَس : « وَقَدْ أَحْبَبْتُ رِسالَتَكِ ، وَظَنَنْتُ حينَ أَتَيْتِ أَنَّكِ تَسَلَّمْتِها . وَلا يُمْكِنُ أَنْ تَدَّعي أَنَّكِ لَمْ تَكُوني قادِرَةً عَلى قِراءَتِها ؛ فَقَدْ تَعَلَّمْتِ القِراءَةَ بِسُرْعَةٍ مُذْهِلَةٍ ، وَتَعَلَّمْتِ الكِتابَةَ كَذَلِكَ . »

قالتْ روزا : « لقدْ تلقَّيْتُ رِسالتكَ وَقرأْتُها ، وجئْتُ لأرى ما يُمكِنُ أنْ أفْعَلهُ مِنْ أجْلِ أنْ تستَرِدَّ صِحَّتكَ .»

قالَ : « باستِطاعَتِكِ أنْ تُساعِديني عَلى استِرْدادِ صِحَّتي إذا أبْلَغْتِني بِأخْبارٍ طَيِّبَةٍ ؟ فَهَلْ لَديْكِ أيَّةُ أخْبارٍ طَيِّبَةٍ ؟»

قالَ ذلِكَ مُتطَلِّعًا إلى روزا وَكانتْ عيْناهُ تُشعّانِ بالأمَلِ .

أجابَتْهُ روزا بِفُتورٍ: « لنْ أتكَلَّمَ إلا عَنْ زَهْرَتِكَ . فأنا أعْلَمُ أنَّها الشّيْءُ الَّذي يَعْنيكَ .»

قالَ كورنِلْيَس : « لقَدْ قُلْتُ لكِ يا روزا إنَّني لا أفكِّرُ إلا فيكِ . وَلمْ تَعُدِ الزَّنْبَقَةُ تَعْنيني.»

قالَتْ : « وَلكِنَّ زَهْرَتكَ مُعَرَّضَةٌ لِخَطَرٍ بالِغٍ .»

صاحَ كورنِلْيَس مُعبِّرًا عَنْ خَوْفِهِ: «خَطَرٌ ! أيُّ خَطَرٍ ؟»

قالتْ : « أجَلْ ، إنَّها تَتَعَرَّضُ لِخَطَرٍ بالِغٍ . وَقَدْ كُنْتَ مُصيبًا ، فَجاكوب لَمْ يَأْتِ مِنْ أجْلي ، وَإنَّما جاءَ لِيَسْتَوْلِيَ عَلى زَنْبَقَتِكَ .»

صاحَ كورنِلْيَس مُنْزَعِجًا : « أ هَذا صَحيحٌ ؟!»

قالتْ روزا : « إنَّكَ تَهتَمُّ بِزَنْبَقَتِكَ أكْثَرَ مِمّا تَهتَمُّ بي .»

« لا ! لا ! ولكِنَّ لكِ عَقْلاً وَقُوَّةً يُمكِّنانِكِ مِنَ الـدِّفـاعِ عَنْ نفْسكِ ، أمّا زَنْبَقَتي فَلا تَسْتَطيعُ أنْ تَدْفَعَ عَنْ نَفْسِها أذى أعْدائِها .»

قالَتْ : « عِنْدَما أبْدَيْتَ خَوْفَكَ مِنْ جاكوب ، كُنْتُ أنا أيْضاً خائِفَةً ؛ لِذا نَفَّذْتُ ما طَلَبْتَ مِنّي أنْ أفْعَلَهُ .»

« أخْبِريني بِما حَدَثَ .»

قالَتْ روزا : « نَزَلْتُ إلى الحَديقَةِ وَاتَّجَهْتُ إلى المَكانِ الَّذي كُنْتُ سأغْرِسُ فيهِ بِزْرَةَ زَنْبَقَتِكَ . وَتَلَفَّتُّ حَوْلي طَوالَ الوَقْتِ لأرى إنْ كانَ ثَمَّةَ أحَدٌ يَتْبَعُني .»

سَألَها كُورْنِلْيَس : « ماذا حَدَثَ عِنْدَئِذٍ ؟»

« شاهَدْتُ خَيالاً يَتَحَرَّكُ بَيْنَ البابِ وَالحائِطِ ، ثُمَّ تَوارى خَلْفَ الأشْجار .»

سَألَها كُورْنِلْيَس : « هَلْ تَظاهَرْتِ بِأنَّكِ لَمْ تُشاهِديهِ ؟»

« أجَلْ ، وَحَفَرْتُ حُفْرَةً في التُّرْبَةِ كَأنَّني أغْرِسُ فيها البِزْرَةَ .»

سَألَها كُورْنِلْيَس : « وَماذا كانَ يَفْعَلُ الرَّجُلُ ؟»

« لَقَدْ رَأيْتُ عَيْنَيْهِ تَلْمَعانِ وَسْطَ الأشْجار ؟»

صاحَ كُورْنلْيَس : « إنَّ الأمْرَ كَما قُلْتُ لكِ !»

قالَتْ رُوزا : « لَقَدْ حَفَرْتُ الحُفْرَةَ وَرَدَمْتُها دونَ أنْ أضَعَ فيها البِزْرَةَ ، ثُمَّ غادَرْتُ الحَديقَةَ مُتَظاهِرَةً بِأنَّني فَرَغْتُ مِنْ عَمَلي .»

سَألَها كُورْنلْيَس : « ثُمَّ نَظَرْتِ مِنْ ثقْبِ البابِ ، فَماذا رَأيْتِ ؟»

أجابَتْهُ : « لَقَدِ انْتَظَرَ هَذا الرَّجُلُ قَليلاً كَأنَّما اعْتَقَدَ أنَّني سَأعودُ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مَخْبَئِهِ وَاتَّجَهَ إلى المَكانِ الَّذي كُنْتُ فيهِ ، وَتَوَقَّفَ وَتَلَفَّتَ حَوْلَهُ . وَنَظَرَ إلى كُلِّ نافِذَةٍ مِنْ نَوافِذِ البَيْتِ ، ثُمَّ وَضَعَ كِلْتا يَدَيْهِ في التُّرْبَةِ ، وَنَبَشَها وَتَحَسَّسَها عَلَّهُ يَجِدُ البِزْرَةَ ، وَكَرَّرَ فَعْلَتَهُ هَذِهِ عِدَّةَ مَرّاتٍ . وَعِنْدَما أدْرَكَ أنَّهُ خُدِعَ أعادَ رَدْمَ ما حَفَرَ ، وَاتَّجَهَ في بُطْءٍ ناحِيَةَ بابِ الحَديقَةِ مُتَظاهِرًا بِأنَّهُ ما جاءَ إلا لِمُشاهَدَةِ الأزْهار .»

صاح كورْنلْيَس : « يا لهُ مِنْ لِصٍّ ! لقَدِ اعْتَقَدْتُ دائِمًا أنَّهُ لِصٌّ. وَلَكِنْ ماذا حَدَثَ لِلْبِزْرَةِ يا رُوزا ؟ ماذا فَعَلْتِ بِها ؟ إنَّ وَقْتَ غَرْسِها قَدْ فاتَ .»

قالَتْ رُوزا : « إنَّ البِزْرَةَ غُرِسَتْ ، وَهِيَ في التُّرْبَةِ مُنْذُ سِتَّةِ أيّام .»

صاحَ كُورْنلْيَس : « أيْنَ ؟ وَكَيْفَ ؟ وَفي أيِّ نَوْعٍ مِنَ التُّرْبَةِ غُرِسَتْ ؟ هَلْ تَتَعَرَّضُ لِضَوْءِ الشَّمْسِ بِما فيهِ الكِفايَةُ ؟ هَلْ هِيَ في

مَكانٍ أمينٍ لا يَسْتَطيعُ جاكوب أنْ يَصِلَ إلَيْهِ ؟»

أجابَتْهُ : « لا خَطَرَ عَلَيْها مِنَ السَّرِقَةِ ، إلا إذا اسْتَطاعَ جاكوب أنْ يَقْتَحِمَ غُرْفَتي ! إنَّ البِزْرَةَ في أصيصٍ داخِلَ غُرْفَتي .»

سَألَ كُورْنلْيَس : « أ في داخِلِ غُرْفَتِكِ هِيَ ؟ في أيِّ نَوْعٍ مِنَ التُّرْبَةِ غَرَسْتِها ؟»

أجابَتْهُ : « إنَّها في أصيصٍ حَجَرِيٍّ يُشْبِهُ إلى حَدٍّ كبيرٍ ذَلِكَ الَّذي زَرَعْتَ فيهِ بِزْرَتَكَ ، كَما أنَّ التُّرْبَةَ تُماثِلُ تَماماً التُّرْبَةَ الَّتي طَلَبْتَ مِنّي اسْتِخْدامَها .»

سَألَها كُورْنلْيَس : هَلْ تَتَعَرَّضُ لِضَوْءِ شَمْسٍ كافٍ ؟»

أجابَتْهُ: « إنّني أضَعُها في النّافِذَةِ الشَّرْقِيَّةِ خِلالَ فَتْرَةِ الصَّباح حتّى تَتَلَقّى ضَوْءَ شَمْس الصَّباح ، ثُمَّ أنْقُلُها بَعْدَ الظُّهْرِ إلى النّافِذَةِ الجَنوبِيَّةِ لِتَتَلَقّى ضَوْءَ الشَّمْس في تِلْكَ الفَتْرَة .»

قالَ كُورْنلْيَس : « هَذا مُناسِبٌ ! هَذا مُناسِبٌ ! إنَّكِ بُسْتانِيَّةٌ ماهِرَةٌ يا عَزيزَتي روزا . أ تَقولينَ إنَّ الزَّنْبَقَةَ مَغْروسَةٌ مُنْذُ سِتَّةِ أيّام ؟»

أجابَتْهُ : « أجَلْ ، مُنْذُ سِتَّةِ أيّام .»

« ألَمْ تَنْبُتْ بَعْدُ ؟»

قالَتْ : « نَعَمْ ، وَلكِنّي أعْتَقِدُ أنَّها سَتَنْبُتُ غَداً .»

قالَ : « إذًا ، فَستَحْمِلينَ إليَّ أخْبارًا جَديدَةً عَنْها في الغَدِ .»

أجابَتْ رُوزا : « إنَّ لَدَيَّ شَواغِلَ كَثيرَةً غَداً .»

« إنَّكِ غاضِبَةٌ لأِنَّني أحِبُّ الأزْهارَ ؟»

قالَتْ : « لا ، أنا لَسْتُ غاضِبَةً لأِنَّكَ تُحِبُّ الأزْهارَ ، بَلْ حَزينَةٌ لأِنَّكَ تُحِبُّ الأزْهارَ أكْثَرَ مِمّا تُحِبُّني .»

قالَ : « أنا أحِبُّكِ أنْتِ فَحَسْبُ .»

قالَتْ : « أجَلْ ، بَعْدَ الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ ! إنَّكَ عِنْدَما كَتَبْتَ لي في كِتابِ كُورْنِلْيَس دِي وِت ، كانَتْ تَعْليماتُكَ أنْ أتَزَوَّجَ فَتًى لَطيفاً ، يَبْلُغُ مِنَ العُمْرِ ما بَيْنَ السادِسَةِ وَالعِشْرينَ وَالثّامِنَةِ وَالعِشْرينَ ، وَبِما أنّني مَشْغولَةٌ خِلالَ النَّهارِ بِرِعايَةِ زَنْبَقَتِكَ ، فَعَلَيْكَ أنْ تَتْرُكَني بَقِيَّةَ اليَوْمِ أبْحَثُ عَنْ ذَلِكَ الشّابِّ اللَّطيفِ .»

سَألَها : « أ لَنْ تَأتي لِزِيارَتي غَداً ؟»

« سَآتي لأِراكَ إذا ... »

« إذا ماذا ؟»

قالَتْ : « إذا كَفَفْتَ عَنِ الحَديثِ عَنِ الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ .»

الفَصْلُ الثّامِنَ عَشَرَ

غرِيفِس لايَعثُرُ عَلى شَيْءٍ

عِنْدَما استَيْقَظَ كُورْنلَيس مِنْ نَوْمِهِ كانَتْ أشِعَّةُ الشَّمْس تَتَسَلَّلُ إلَيْهِ مِنْ بَيْنِ القُضْبانِ ، وَكانَ الحَمامُ يَطيرُ حَوْلَ النّافِذَةِ . وَكانَ السِّجْنُ خِلالَ الأيّام الماضِيَةِ يَبْدو كَئيباً ، وَمُقْبِضاً وَحَزيناً ، وَبَدَتِ القُضْبانُ تَفْصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ضَوْءِ النَّهار ، أمّا الآنَ فَيَبْدو مَكاناً سَعيداً يَفيضُ بِالضِّياءِ وَالبَهْجَةِ .

وَعِنْدَما أتي غرِيفِس لِرُؤْيَةِ سَجينِهِ ، وَجَدَ أنَّ أماراتِ الحُزْنِ قَدْ فارَقَتْهُ ، وَلَمْ يَكُنْ راقِداً في فِراشِهِ ، بَلْ كانَ يَقِفُ إلى جِوارِ النّافِذَةِ يُغَنّي ، فَقالَ لَهُ : « عَجَباً ! »

سَألَهُ كُورْنلَيس : « كَيْفَ حالُكَ هَذا الصَّباحَ ؟ »

وَلَمْ يُجِبْهُ غرِيفِس ، فَعادَ كُورْنلَيس يَسْألُهُ : « وَكَيْفَ حالُ السَّيِّدِ جاكوب ؟ وَكَيْفَ حالُ رُوزا ؟ »

قالَ غرِيفِس : « ها هُوَ ذا طَعامُكَ . »

قالَ كُورْنِلْيَس : « شُكْراً لَكَ ، فَأنا جائِعٌ . »

سَأَلَهُ غرِيفِس : « أ جائِعَ أَنْتَ ؟ لا بُدَّ إذاً أنَّ خُطَطَكَ في الهَرَبِ تَسيرُ سَيْراً حَسَناً . سَوْفَ أراقِبُكَ مُراقَبَةً دَقيقَةً . »

قالَ كُورْنِلْيَس : « راقِبْني كَيْفَما تَشاءُ يا عَزيزي غرِيفِس ، فَإِنَّ خُطَطي لَنْ تُضيرَكَ في شَيْءٍ . »

قال غرِيفِس : « سَنَرى عِنْدَما تَحينُ السّاعَةُ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ . إنَّني سَوْفَ أكْتَشِفُ كُلَّ شَيْءٍ في الثّانِيَةَ عَشْرَةَ . »

وَانْتَظَرَ كُورْنِلْيَس طَوالَ الصَّباحِ لِيَرى ما يُمْكِنُ أنْ يَحْدُثَ .



وَأخيراً دَقَّتِ السّاعَةُ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ ، فَأتى غرِيفِس بِصُحْبَةِ أرْبَعَةِ جُنودٍ، وَفَتَحَ البابَ وَدَخَلوا جَميعُهُمُ الغُرْفَةَ . وَقالَ غرِيفِس لِلْجُنودِ: « اِبْحَثوا الآنَ في كُلّ مَكانٍ حَتّى تَكْتَشِفوا سِرَّهُ .»

وَقامَ الجُنودُ بِتَفْتيش كُلّ أرْجاءِ الغُرْفَةِ . وَبَحَثوا في السَّريرِ وَأسْفَلَهُ ، كَما بَحَثوا في كُلّ رُكْنٍ مِنَ الأرْكانِ ، وَلَكِنَّهُمْ فَشِلوا في العُثورِ عَلى شَيْءٍ .

وَكانَ كُورْنلْيَس يَشْعُرُ بِالسَّعادَةِ لأنَّهُ لَمْ يَحْتَفِظْ بِالبِزْرَةِ الأخْرى، فَقَدْ أعْطى رُوزا إيّاها ، وَإلا لَعَثَرَ عَلَيْها غرِيفِس وَسَحَقَها كَما سَحَقَ البِزْرَةَ الأولى . وَكانَ كُلُّ ما عَثَرَ عَلَيْهِ غرِيفِس قَلَماً وَقُصاصَةً مِنَ الوَرَقِ ، فَأخَذَهُما .

وَفي السّاعَةِ السّادِسَةِ عادَ غرِيفِس ، فَخاطَبَهُ كُورْنلْيَس بِوُدٍّ . وَلَكِنَّ غرِيفِس اكْتَفى بِأنْ زَمْجَرَ في وَجْهِهِ غاضِباً ، مِمّا أضْحَكَ كُورْنلْيَس ، فَقالَ لَهُ غرِيفِس وَهُوَ يَنْصَرِفُ: « اِضْحَكْ ! فَالْمُنْتَصِرُ هُوَ الّذي يَضْحَكُ أخيراً !»

الفَصْلُ التّاسِعَ عَشَرَ

رُوزا تَأْتي بِأَخْبار

جاءَتْ رُوزا في المَساءِ ، وَتَحَدَّثا حَوْلَ كُلِّ شَيْءٍ ما عَدا الزَّنْبَقَةَ. تُرى لِماذا لَمْ تَتَحَدَّثْ رُوزا عَن الزَّنْبَقَةِ ؟ وَكانَ عَيْبُها الوَحيدُ أَنَّها لا تَتَحَدَّثُ عَن الزَّنابِقِ .

وَجاءَتْ رُوزا مَرَّةً أُخْرى في مَساءِ اليَوْمِ التّالي ، وَقالَتْ لَهُ : « أَبْشِرْ ! لَقَدْ طالَتْ .»

سَأَلَها : « ما الَّذي طالَ ؟»

قالَتْ : « الزَّنْبَقَةُ .»

قالَ : « أَ تَسْمَحينَ لي إِذًا بِالحَديثِ عَن الزَّنْبَقَةِ ؟»

قالَتْ رُوزا : « أَجَلْ .»

سَأَلَها : « هَلْ تَنْمو في اسْتِقامَةٍ ؟»

« في غايَةِ الاسْتِقامَةِ .»

سَألَها : « كَمْ يَبْلُغُ ارْتِفاعُها ؟»

« حَوالى خَمْسَةِ سَنْتيمِتْراتٍ .»

قالَ : « أرْجوكِ يا رُوزا أنْ تَعْتَني بِها ، فَسَيَزْدادُ نُمُوُّها سَريعًا .»

قالَتْ رُوزا : « إنَّني لا أفَكِّرُ إلا فيها . فَهِيَ أوَّلُ ما أراهُ صَباحًا، وَآخِرُ ما أراهُ مساءً . وَعِنْدَما تَنْمو سَأحْصُلُ عَلى مِئَةِ ألْفِ غيلدر وَأتَزَوَّجُ شابًّا لَطيفًا يَبْلُغُ مِنَ العُمْرِ السّادِسَةَ وَالعِشْرينَ أوِ الثّامِنَةَ وَالعِشْرينَ .»

« أيْ رُوزا !»

وَكانَتْ رُوزا تَحْمِلُ إلَيْهِ كُلَّ مَساءٍ أخْبارًا عَنِ الزَّنْبَقَةِ ، فَقالَتْ لَهُ مَرَّةً: « إنَّ لَها بُرْعُمًا لَمْ يَتَفَتَّحْ بَعْدُ .»

صاحَ كُورْنِلْيَس مُتَحَمِّسًا : « هَلْ شَكْلُ البُرْعُمِ سَليمٌ ؟»

أجابَتْ رُوزا : « سَليمٌ تَمامًا .»

وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ جاءَتْ رُوزا وَقالَتْ : « إنَّ البُرْعُمَ يَتَفَتَّحُ .»

سَألَها كُورْنِلْيَس : « أ وَ تَرَيْنَ ... أ وَ تَرَيْنَ أيَّ لَوْنٍ ؟»

« نَعَمْ . إنَّهُ لَوْنٌ داكِنٌ لِلْغايَةِ .»

سَأَلَها كُورْنِلْيس : « هَلْ هُوَ اللَّوْنُ البُنِّيُّ ؟»

« أَغْمَقُ مِنْ ذَلِكَ .»

« أَغْمَقُ مِنْ ذَلِكَ ؟ هَلِ اللَّوْنُ داكِنٌ مِثْلُ لَوْنِ المِدادِ الَّذي في رِسالَتي ؟»

« أَجَلْ ، إِنَّهُ اللَّوْنُ البُنِّيُّ الغامِقُ ، وَيَكادُ يَكونُ أَسْوَدَ .»

وَأَطْلَقَ كُورْنِلْيس صَيْحَةَ فَرَح ، وَقالَ: « أَنْتِ رائِعَةٌ يا رُوزا ! إِنَّ زَنْبَقَتي تُزْهِرُ ، وَسَتُصْبِحُ سَوْداءَ ! كَمْ أَنْتِ رائِعَةٌ يا رُوزا ! وَلَكِنْ متى تَتَفَتَّحُ في تَقْديرِكِ ؟»

أَجابَتْ رُوزا : « خِلالَ يَوْمَيْن أَوْ ثَلاثَةٍ .»

قالَ كُورْنِلْيس : « أَجَلْ ، غَداً أَوْ بَعْدَ غَدٍ .»

قالَتْ رُوزا ضاحِكَةً : « وَعِنْدَئِذٍ أَقْطِفُها ؟»

« تَقْطِفينها ؟! لا ! لا ! عِنْدَما تَتَفَتَّحُ الزَّهْرَةُ انْقُليها إِلى الظِّلِّ ، وَابْعَثي بِرِسالَةٍ إِلى جَمْعِيَّةِ « زُرّاعِ الأَزْهارِ» في هارْلم تُخْبِرينَهُمْ فيها بِأَنَّ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ قَدْ أَيْنَعَتْ . إِنَّ الجائِزَةَ مَعْروضَةٌ مِنْ قِبَلِ الجَمْعِيَّةِ في مَدينَةِ هارْلم ، وَهِيَ بَعيدَةٌ ، وَلَكِنَّكِ سَتَجِدينَ رَسولاً . أَ لَدَيْكِ

نُقودٌ يا رُوزا ؟»

أجابَتْهُ : « أجَلْ .»

« أ لَدَيْكِ ما يَكْفي ؟»

أجابَتْ : « لَدَيَّ ثَلاثُمِئَةِ غِيلْدَر .»

قالَ : « إذا كانَ لَدَيْكِ ثَلاثُمِئَةِ غِيلْدَر ، فَلا تُرْسِلي أحَداً إلى هارْلِم ، بَلِ اذْهَبي بِنَفْسِكِ إلى هُناك .»

سَأَلَتْهُ : « وَلَكِنْ ماذا عَنِ الزَّهْرَةِ ؟»

أجابَها : « يَنْبَغي أنْ تَحْمِليها مَعَكِ ، وَلا تُفارِقيها دَقيقَةً واحِدَةً .»

قالَتْ : « وَلَكِنْ عِنْدَما أذْهَبُ بِالزَّهْرَةِ سَأكونُ بَعيدَةً عَنْكَ .»

قالَ كُورْنِلْيَس : « أجَلْ ، هَذا صَحيحٌ . رَبَّاهُ ! لِماذا أنا سَجينٌ ؟! يَنْبَغي إذاً أنْ تَبْعَثي أحَداً بِالرِّسالَةِ ، فَقَدْ توفِدُ الجَمْعِيَّةُ في هارْلِم شَخْصاً لِيَنْقُلَ الزَّهْرَةَ إلى هارْلِم ، وَلَكِن ... »

« وَلَكِنْ ماذا يا كُورْنِلْيَس ؟»

قالَ : « ما الَّذي سَيَحْدُثُ إذا لَمْ تَكُنِ الزَّهْرَةُ سَوْداءَ ؟»

قالَتْ رُوزا : « سَتَعْرِفُ غَداً أَوْ بَعْدَ غَدٍ ما إذا كانَتِ الزَّهْرَةُ سَوْداءَ أَمْ غَيْرَ سَوْداءَ .»

قالَ كُورْنِلْيَس : « إنَّها فَتْرَةُ انْتِظارٍ طَويلَةٌ . أ يُمكِنُكِ أنْ تُخْبِريني بِإشارَةٍ ما حَتّى أعْرِفَ ؟»

أجابَتْهُ : « إذا تَفَتَّحَتِ الزَّهْرَةُ خِلالَ اللَّيْل جِئْتُ بِنَفْسي لأُخْبِرَكَ، وَإذا تَفَتَّحَتْ خِلالَ النَّهارِ وَضَعْتُ رِسالَةً تَحْتَ عَقِبِ بابِكَ .»

وَدَقَّتِ السّاعَةُ العاشِرَةَ ، فَقالَتْ رُوزا: « يَنْبَغي أَنْ أَنْصَرِفَ الآنَ ، وَسَوْفَ تَعْلَمُ غَداً ما إذا كانَتِ الزَّهْرَةُ سَوْداءَ أَمْ لا .»

الفَصْلُ العِشْرونَ

راقِبي الزَّهْرَةَ !

لَمْ يَنَمْ كُورْنلْيس تِلْكَ اللَّيْلَةَ إلا قَليلاً جِداً . وَكانَ يُخَيَّلُ لَهُ كُلَّ بِضْع دَقائِقَ أَنَّهُ يَسْمَعُ صَوْتَ رُوزا فَيَقْفِزُ مِنْ فِراشِهِ . وَكانَ يَقولُ لِنَفْسِهِ : « إنَّ رُوزا تُراقِبُ الزَّهْرَةَ . كَمْ أَوَدُّ لَوْ أُراقِبُها كَذلِكَ ! ماذا سَيَقولُ العالَمُ عِنْدَما يَسْمَعُ أَنَّ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ العَظيمَةَ قَدْ أَنْبِتَتْ ، وَأَنَّ اللَّذَيْنِ أَنْبَتاها هُما كُورْنلْيس ڤان بارْل وَ روزا ، وَأَنْبَتاها في سِجْن ؟!»

وَمَرَّتِ الساعاتُ الحالِكَةُ الطَّويلَةُ ، وَلَمْ تَصِلْ أَيَّةُ أَخْبارٍ ، فَالزَّنْبَقَةُ لَمْ تُزْهِرْ بَعْدُ .

وَمَرَّتْ ساعاتُ الصَّباحِ بَطيئَةً مُتَثاقِلَةً ، وَتَحَوَّلَتْ فَتْرَةُ ما بَعْدَ الظُّهْرِ إلى أَصيلٍ ذَهَبِيٍّ مُقْتَرِبَةً مِنَ المَساءِ الَّذي تَحَوَّلَ إلى لَيْلٍ مُظْلِم .

وَدَقَّتِ السّاعَةُ التّاسِعَةَ ، ثُمَّ أَتَتْ رُوزا . جاءَتْ مُسْرِعَةً تَجْري بِأَقْدامٍ أَنْعَشَتْها أَحاسيسُ السَّعادَةِ .

سَألَها كُورْنلْيَس : « ماذا وَراءَكِ ؟»

أجابَتْهُ : « كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ ، وَلَكِنَّ الزَّهْرَةَ لَمْ تَتَفَتَّحْ بَعْدُ ، وَسَتَتَفَتَّحُ اللَّيْلَةَ .»

سَألَها : « هَلْ سَتَكونُ سَوْداءَ اللَّوْنِ ؟»

أجابَتْهُ : « سَوْداءُ مِثْلُ الفَحْمِ ، سَوْداءُ مِثْلُ اللَّيْل . إنَّني موقِنَةٌ بِذَلِكَ .»

قالَ : « يا عَزيزَتي رُوزا ، لَقَدْ كُنْتُ أحْلُمُ طَوالَ اللَّيْل بِـ ... »

قاطعَتْهُ قائِلَةً : « بِالزَّنْبَقَةِ ؟»

قالَ لَها بِحِكْمَةٍ : « بِكِ أوَّلاً ، وَبِالزَّنْبَقَةِ ثانِياً ، وَكُنْتُ أُفَكِّرُ فيما يَنْبَغي عَلَيْنا عَمَلُهُ .»

سَألَتْهُ رُوزا : « ماذا يَنْبَغي عَلَيْنا عَمَلُهُ ؟»

قالَ : « لَقَدْ قَرَّرتُ أنْ نَجِدَ أحَداً يَحْمِلُ الرِّسالَةَ .»

سَألَتْهُ : « أ هَذا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ؟ لَقَدْ وَجَدْتُ مَنْ يَحْمِلُ الرِّسالَةَ.»

سَألَها كُورْنلْيَس: « هَلْ هُوَ مَضْمونٌ ؟ هَلْ يُمْكِنُ أنْ نَثِقَ بِهِ ؟»

قالَتْ : « أجَلْ . إنَّهُ يُحِبُّني .»

قالَ : « لَعَلَّهُ لَيْسَ جاكوب ؟!»

قالَتْ : « لا ، إنَّ اسْمُهُ رالْف ، وَهُوَ شابٌّ لَطيفٌ وَيُحِبُّني .»

قالَ : « يا إلَهي !»

« وَلَكِنَّهُ صَغيرُ السِّنِّ لِلْغايَةِ ؛ فَأَنْتَ قُلْتَ إنَّ الفَتى المَطْلوبَ يَنْبَغي أنْ يَكونَ ما بَيْنَ السّادِسَةِ وَالعِشْرينَ وَالثّامِنَةِ وَالعِشْرينَ ، وَلَكِنَّ هَذا الشّابَّ في الخامِسَةِ وَالعِشْرينَ لَيْس إلا !»

فَقالَ كُورْنلْيس : « آهِ !» ثُمَّ واصَلَ كَلامَهُ: « يَنْبَغي أنْ يَصِلَ هَذا الرَّجُلُ إلى هارْلم في غُضونِ عَشْرِ ساعاتٍ . وَعَلَيْكِ أنْ تَكْتُبي رِسالَةً يَحْمِلُها إلى رَئيس الجَمْعِيَّةِ ، وَسَيَأتي الرَّئيسُ بِنَفْسِهِ إلى هُنا عَلى الفَوْرِ .»

سَأَلَتْهُ رُوزا : « وَلَكِنْ هَبْ أنَّ الرَّئيسَ لَمْ يَأتِ بِسُرْعَةٍ ، وَلَمْ تَعُدِ الزَّنْبَقَةُ ناضِرَةً ؟»

أجابَ : « بَلْ سَيَحْضُرُ ، فَهُوَ مِنْ مُحِبّي الزَّنابِقِ . إنَّهُ سَيَأتي عَلى الفَوْرِ لِيَرى هَذِهِ الزَّهْرَةَ المُدْهِشَةَ . وَحَتّى إذا تَأَخَّرَ يَوْمَيْن فَسَتَبْقى

الزَّنْبَقَةُ مُزْدَهِرَةً . وَسَيُعْطيكِ إيصالاً يُثْبِتُ تَسَلُّمَهُ الزَّهْرَةَ ، وَسَيَحْمِلُها إلى هارْلم . كَمْ كُنْتُ أَوَدُّ أَنْ نَحْمِلَ الزَّهْرَةَ إِلَيْهِ بِأَنْفُسِنا ! وَلكِنَّ هذا مُسْتَحيلٌ . يَنْبَغي ألا يَرى أَحَدٌ الزَّهْرَةَ قَبْلَ أَنْ يَراها الرَّئيسُ ، فَلابُدَّ أَنْ يَكونَ أَوَّلَ مَنْ يَراها ، فَقَدْ تُسْرَقُ إذا رَآها أَحَدٌ قَبْلَهُ .»

قالَتْ روزا : « يا إِلَهي !»

سَأَلَها كُورْنلِيس : « أَ لَمْ تُخْبِريني بِأَنَّ جاكوب لِصٌّ ؟ إنَّ هَذِهِ الزَّهْرَةَ تُساوي مِئَةَ أَلْفِ غيلْدَر ، وكَثيرٌ مِنَ النّاس عَلى اسْتِعْدادٍ لِسَرِقَةِ مِئَةِ أَلْفِ غيلْدَر ؛ لِذا يَنْبَغي أَنْ تَراقِبي الزَّهْرَةَ بِكُلِّ عِنايَةٍ . راقِبيها ! راقِبيها !»

قالَتْ : « سَأُراقِبُها ، سَأَكونُ في غايَةِ اليَقَظَةِ .»

قالَ لها : « يا لَكِ مِنْ فَتاةٍ رائِعَةٍ يا عَزيزَتي رُوزا ! إِنَّكِ رائِعَةٌ مِثْلُ... مِثْلُ ...»

أَكْمَلَتْ رُوزا عِبارَتَهُ قائِلَةً : « مِثْلُ الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ ! طابَتْ لَيْلَتُكَ .»

الفَصْلُ الواحِدُ وَالعِشْرونَ

الزَّنْبَقَةُ تَتَفَتَّحُ

قَضى كُورْنلِيَس شَطْراً مِنَ اللَّيْل بِجِوار نافِذَتِهِ يَتَطَلَّعُ إلى النُّجوم وَيُرْهِفُ السَّمْعَ لِكُلِّ صَوْتٍ . وَقالَ لِنَفْسِهِ : « إنَّ روزا هُناكَ تُراقِبُ الزَّهْرَةَ دَقيقَةً بِدَقيقَةٍ ، وَهِيَ تَنْمو وَتَتَفَتَّحُ . وَأعَزُّ ما لَدَيَّ في الدُّنْيا اثْنانِ : روُزا وَ زَنْبَقَتي ؛ فَروزا مُشْرِقَةٌ كَالنَّجْم ، وَ زَنْبَقَتي سَوْداءُ كَاللَّيْل .»

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَمَحَ نَجْماً يَهْوي مِنَ السَّماءِ عَلى هَيْئَةِ خَطٍّ مِنَ الضِّياءِ ، فَقالَ لِنَفْسِهِ : « هَذِهِ إشارَةٌ .» وَبَدا أَنَّها إشارَةٌ بِالفِعْل ، فَقَدْ تَناهى إلى سَمْعِهِ ، في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَقْعُ خُطُواتٍ وَصَوْتُ روزا وَهِيَ تَقولُ : « كُورْنلِيَس ! تَعالَ بِسُرْعَةٍ ! انْظُرْ !» وَجَرى نَحْوَ البابِ، فَهَتَفَتْ روزا وَهِيَ تَرْفَعُ الأصيصَ إلَيْهِ بِيَدٍ وَتَحْمِلُ المِصْباحَ بِاليَدِ الأُخْرى: « لَقَدْ تَفَتَّحَتْ ، وَها هِيَ ذي !»

صاحَ كُورْنلِيَس : « أشْكُرُكَ يا رَبِّ عَلى رَحْمَتِكَ بي أنا السَّجين المِسْكين !»



كانَتِ الزَّنْبَقَةُ جَميلَةً ، وَارْتِفاعُها خَمْسَةً وَأَرْبَعينَ سَنْتيمِتراً ، وَلَها أَرْبَعُ وُرَيْقاتٍ خَضْراءَ ، وَزَهْرَةٌ سَوْداءُ كَالفَحْمِ ، أَوْ كَاللَّيْلِ عِنْدَما يَغيبُ عَنْهُ القَمَرُ وَالنُّجومُ .

صاحَ كُورْنِلْيَس : « رُوزا ! أُكْتُبي الرِّسالَةَ ، أُكْتُبيها بِسُرْعَةٍ . »

قالَتْ : « لَقَدْ كَتَبْتُها بِالفِعْلِ ، وَهِيَ مَعي . »

وَتَناوَلَ كُورْنِلْيَس الرِّسالَةَ فَلاحَظَ أَنَّ خَطَّ رُوزا قَدْ تَحَسَّنَ كَثيراً عَمّا كانَ . وَكانَ نَصُّ الرِّسالَةِ كَالآتي :

السيد الرئيس

ان الزنبقة السوداء توشك أن تتفتح ، ولعلها تتفتح خلال الدقائق العشر القادمة . وبمجرد أن تتفتح سأرسل لك رسالة أطلب فيها منك أن تحضر وتأخذها من سجن لوفستاين . انني ابنة حارس السجن غريفس، ولهذا السبب لا يمكنني أن آتي اليك بالزهرة . وأود أن يطلق على هذه الزنبقة اسم روزا - بارل .

لقد تفتحت الآن ! إنها سوداء ! فهيا احضر يا سيدي الرئيس ! هيا !

روزا غريفس



قالَ كُورْنِلْيَس : « إنَّها رِسالَةٌ مُمْتازَةٌ ، وَماكُنْتُ لأَسْتَطيعَ كِتابَةَ رِسالَةٍ مِثْلِها ، فَهِيَ بَسيطَةٌ وَ واضِحَةٌ .»

سَأَلَتْهُ رُوزا : « ما اسْمُ الرَّئيس ؟»

« سَأَكْتُبُ اسْمَهُ . أَعْطيني الرِّسالَةَ .»

وَكَتَبَ كُورْنِلْيَس : إلى السَّيِّدِ ڤان هِريسِن ، رَئيسِ جَمْعِيَّةِ زُرَّاع الأَزْهار في هارْلم .

« وَالآنَ هَيّا اذْهَبي يا رُوزا ، هَيّا ! وَلْنَدْعُ اللّهَ الّذي حَفِظَنا ، أَنْ يَحْفَظَ زَهْرَتَنا .»

الفَصْلُ الثّاني وَالعِشْرونَ

خَطَرٌ !

لا شَكَّ أنَّ القارِئَ قَدْ أدْرَكَ ، لِلْوَهْلَةِ الأولى ، أنَّ جاكوب لَمْ يَكُنْ سِوى بوكْستِل ، وَقَدْ جاءَ إلى لوفِسْتايْن طَلَبًا لِلزَّنْبَقَةِ السَّوْداءَ . وَقَدْ عَقَدَ صَداقَةً مَعَ غريفِس ، وَأوْهَمَهُ أنَّهُ جاءَ راغِبًا في الزَّواجِ بِابْنَتِهِ روزا ، وَأبْلَغَهُ بِأنَّ كورْنِلْيس سَجينٌ خَطِرٌ لِلْغايَةِ ، وَكانَ يُدَبِّرُ



المُؤامَراتِ ضِدَّ الحُكومَةِ . وَسُرْعانَ ما عَرَفَ أنَّ لَدى رُوزا بِزْرَةً ، فَأخَذَ يَتَعَقَّبُها أيْنَما ذَهَبَتْ . وَرَآها تَحْمِلُ أصيصَ الزَّهْرَةِ إلى غُرْفَتِها؛ فَاسْتَأجَرَ غُرْفَةً في بَيْتٍ يُواجِهُ نافِذَةَ رُوزا تَماماً ، وَراحَ يُراقِبُ كُلَّ ما تَفْعَلُهُ بِمِنْظارِهِ . وَكانَ يَرى أصيصَ الزَّهْرَةِ في النّافِذَةِ عِنْدَما تَطْلُعُ عَلَيْهِ شَمْسُ الصَّباحِ ، وَكانَ يَراهُ بَعْدَ أنْ يُنْقَلَ إلى النّافِذَةِ الأخْرى بَعْدَ الظُّهْرِ . وَرَأى الوُرَيْقاتِ الأولى تَنْبُتُ فَوْقَ سَطْحِ التُّرْبَةِ .

وَكانَ السُّؤالُ الّذي يَشْغَلُهُ هُوَ: كَيْفَ يَسْرِقُها ؟

وَلَمْ تَكُنْ رُوزا تُغادِرُ غُرْفَتَها خِلالَ النَّهارِ . وَمَعَ أنَّها كانَتْ تَتْرُكُها في المَساءِ ، إلا أنَّها كانَتْ دائِماً ما تَأخُذُ مِفْتاحَها مَعَها. وَخَطَرَ لِبُوكْستِل أوَّلاً أنْ يَسْرِقَ المِفْتاحَ ، وَلَكِنَّهُ تَبَيَّنَ أنَّها سَتُلاحِظُ ضَياعَهُ ، وَسَتَسْتَبْدِلُ بِهِ آخَرَ مِنْ نَوْعٍ مُخْتَلِفٍ .

وَجاءَ بُوكْستِل بِعَدَدٍ كَبيرٍ مِنَ المَفاتيحِ ، وَراحَ يُجَرِّبُها كُلَّها في الوَقْتِ الّذي كانَتْ فيهِ رُوزا مُتَغَيِّبَةً عَنْ حُجْرَتِها تَتَحَدَّثُ إلى كُورْنِلْيَس ، وَلَكِنْ لَمْ يَصْلُحْ واحِدٌ مِنْها لِفَتْحِ الحُجْرَةِ .

وَقامَ بُوكْستِل بَعْدَ ذَلِكَ بِتَغْطِيَةِ أحَدِ المَفاتيحِ بِالشَّمْعِ ، وَحاوَلَ أنْ يَفْتَحَ بِهِ البابَ ؛ فَانْطَبَعَتْ بَعْضُ العَلاماتِ على الشَّمْعِ ، فَعَمَدَ

إلى إزالَةِ بَعْض أجْزاءٍ مِنَ المِفْتاح ، ثُمَّ كَرَّرَ المُحاوَلَةَ حَتّى نَجَحَ أخيراً في عَمَل مِفْتاح فَتَحَ بِهِ البابَ .

وَقَرَّرَ بُوكْستِل الانْتِظارَ حَتّى آخِرِ لَحْظَةٍ ، عِنْدَما تَتَفَتَّحُ الزَّنْبَقَةُ ، فَيَسْرِقُها ، وَتَضيعُ بِذَلِكَ الفُرْصَةُ أمامَ كُورْنِلْيَس لإبْلاغ القَضاءِ .

وفي كُلِّ لَيْلَةٍ كانَتْ رُوزا تَذْهَبُ إلى كُورْنِلْيَس ؛ وَكانَ بُوكْستِل يَتَسَلَّلُ إلى غُرْفَتِها لِيُتابِعَ نُمُوَّ الزَّنْبَقَةِ .

وَقَدْ رَأى بُوكْستِل رُوزا وَهِيَ تَحْمِلُ الزَّنْبَقَةَ لِيَراها كُورْنِلْيَس ، فَتَعَقَّبَها وَسَمِعَ كُلَّ ما دارَ بَيْنَهُما بِشَأْنِ الرِّسالَةِ ، ثُمَّ شاهَدَ رُوزا وَهِيَ تَعودُ إلى غُرْفَتِها ، كَما شاهَدَها تُغادِرُ الغُرْفَةَ لِتَبْعَثَ بِالرِّسالَةِ .

وَما إنْ غادَرَتْ رُوزا غُرْفَتَها حَتّى فَتَحَ بُوكْستِل البابَ وَدَخَلَ .

الفَصْلُ الثّالِثُ وَالعِشْرونَ

سَرِقةُ الزّنْبَقَة

بَعْدَ أنِ انْصَرَفَتْ رُوزا ، ظَلَّ كُورْنلْيَس واقِفاً بِالبابِ تَمْلأُهُ السَّعادَةُ ، حَتّى إنّهُ لَمْ يُرِدْ أنْ يَتَحَرَّكَ مِنْ مَكانِهِ ، ثُمَّ اتَّجَهَ إلى فِراشِهِ وَجَلَسَ فيهِ . وَمَرَّتْ نِصْفُ ساعَةٍ ، وَانْبَلَجَ نورُ النّهارِ ، وَتَسَلَّلَ شُعاعُهُ مِنَ النّافِذَةِ . وَسَمِعَ كُورْنلْيَس وَقْعَ خُطُواتٍ تَصْعَدُ السُّلَّمَ ، ثُمَّ رَأى أمامَهُ وَجْهَ رُوزا شاحِباً يَكْسوهُ الخَوْفُ ، فَقَفَزَ مِنْ مَكانِهِ .

كانَتْ تَصْرُخُ : « كُورْنلْيَس ! كُورْنلْيَس !»

« ماذا حَدَثَ يا رُوزا ؟»

« الزّنْبَقَةُ يا كُورْنلْيَس !»

« ماذا ؟!»

« كَيْفَ أخْبِرُكَ ياكُورْنلْيَس ؟! لَقَدِ اسْتَوْلى عَلَيْها شَخْصٌ ما ! لَقَدْ سَرَقَها مِنّا شَخْصٌ ما !»

« سَرَقَها ؟!»

قــالتْ رُوزا : « نَعَمْ ، لَقَدْ سَرَقَهــا شَخْصٌ مــا .» وَ خَرَّتْ على رُكْبَتَيْها .

صاحَ كُورْنِلْيَس: « وَلكِنْ كَيْفَ ؟ أخْبِريني !»



قالَتْ : « لا تَلُمْني ، فَلَيْسَتْ غَلْطَتي . فَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ حُجْرَتي لَحْظَةً واحِدَةً لأُقابِلَ الرَّجُلَ الَّذي سَيَحْمِلُ الرِّسالَةَ .»

سَأَلَها كُورْنلْيَس : « وَنَسيتِ المِفْتاحَ في البابِ ؟»

أجابَتْ صارِخَةً : « لا ! لَقَدْ كانَ المِفْتاحُ في يَدي ، وَكُنْتُ أَقْبِضُ عَلَيْهِ طَوالَ الوَقْتِ .»

سَأَلَها كُورْنلْيَس : « فَكَيْفَ إِذاً حَدَثَ ذَلِكَ ؟»

« لا أَدْري ، فَقَدْ أَعْطَيْتُ الرِّسالَةَ لِلرَّجُل ، وَشاهَدْتُهُ يَنْصَرِفُ راكِباً جَوادَهُ ، وَعُدْتُ إِلى غُرْفَتي ، وَ وَجَدْتُ البابَ مُغْلَقاً كَما تَرَكْتُهُ تَماماً ؛ فَلا بُدَّ إِذاً أَنَّ شَخْصاً ما صَنَعَ مِفْتاحاً فَتَحَ بِهِ غُرْفَتي .» وَانْخَرَطَتْ في البُكاءِ .

صاح كُورْنلْيَس : « سُرِقَتْ ! سُرِقَتْ ! ضاعَ كُلُّ شَيْءٍ !»

« سامِحْني يا كُورْنلْيَس . إِنَّ ما حَدَثَ يَكادُ يَقْتُلُني .»

وَأَمْسَكَ كُورْنلْيَس بِقُضْبانِ البابِ الحَديدِيَّةِ وَأَخَذَ يَهُزُّها صائِحاً: «لَقَدْ سُرِقَتِ الزَّنْبَقَةُ ، وَلَكِنَّنا نَعْرِفُ اللِّصَّ ، إِنَّهُ جاكوب ! أَ نَتْرُكُهُ يَحْمِلُ زَهْرَتَنا إِلى هارْلم ؟! لا ! يَجِبُ أَنْ نَنْطَلِقَ في أَثَرِه.»

« وَلَكِنْ كَيْفَ أَفْعَلُ ذَلِكَ وما أنا إلا فَتاةٌ ضَعيفَةٌ ؟! »

صاحَ : « رُوزا ! رُوزا افْتَحي لي هَذا البابَ وَسَأَعْثُرُ عَلى هَذا اللّصِّ ، وَأَقْبِضُ عَلَيْهِ . »

قالَتْ رُوزا : « إنَّ المِفْتاحَ لَيْسَ مَعي ، فَكَيْفَ أَفْتَحُ لَكَ البابَ ؟ »

أجابَها : « إنَّ المِفْتاحَ مَعَ والِدِكِ ، وَقَدْ أَتْلَفَ البِزْرَةَ الأولى . إنَّهُ لِصٌّ أَيْضاً ، وَهُوَ شَريكُ جاكوب . وَعَلَيْكِ أَنْ تَسْرِقي المِفْتاحَ مِنْهُ . »

قالَتْ رُوزا : « اِخْفِضْ صَوْتَكَ وَإلا سَمِعَنا أَحَدٌ . »

« سَأَكْسِرُ هذا البابَ ، يا رُوزا ، إنْ لَمْ تَفْتَحيهِ . وَسَأَهْدِمُ الجُدْرانَ حَجَراً حَجَراً ، وَسَأَقْتُلُ غريفِس الّذي قَتَلَ زَنْبَقَتي . »

« اِهْدَأْ يا عَزيزي كُورْنلِيس ، اِهْدَأْ ! سَآخُذُ المِفْتاحَ مِنْهُ ، وَسَأَفْعَلُ أَيَّ شَيْءٍ يُرْضيكَ ، وَلَكِنِ اِهْدَأْ . »

ثُمَّ سُمِعَ صَوْتٌ ، فَصاحَتْ رُوزا : « إنَّهُ أبي ! »

وَصَرَخَ فان بارْل : « غريفِس ! أَنْتَ أَيُّها اللِّصُّ ! أَيُّها اللِّصُّ ! »

وَكانَ غريفِس العَجوزُ قَدْ صَعِدَ السُّلَّمَ خِفْيَةً ، عَلى حين كانا يَتَبادَلانِ الحَديثَ ، فَقَبَضَ عَلى ذِراعِ ابْنَتِهِ قائِلاً : « إذاً فَسَتَأْخُذينَ

المِفْتاحَ مِنّي ؟ وَهَذا هُوَ عَزيزُكِ كُورْنلَيس ! إنَّكِ تُساعِدينَ السَّجينَ عَلى الهَرَبِ . سَأُلَقِّنُكِ دَرْسًا لا يُنْسى .»

وَانْخَرَطَتْ رُوزا في البُكاءِ .

وَالْتَفَتَ إلى كُورْنلَيس قائِلاً : « وَأَنْتَ سَتَقْتُلني أ لَيْسَ كَذَلِكَ يا زارِعَ الزَّنابِقِ البائِسَ ؟! وَسَتُساعِدُكَ ابْنَتي عَلى قَتْلي ؟ إنَّني أعْرِفُ كَيْفَ أتَعامَلُ مَعَ مِثْلِ هَذِهِ الأمورِ . وَ أَنْتِ ، يا رُوزا ، اِذْهَبي ! اُغْرُبي عَنْ وَجْهي ! فَأَنْتِ لَسْتِ ابْنَتي !»

وَفَجْأَةً خَطَرَتْ لِرُوزا فِكْرَةٌ ، فَأَسْرَعَتْ نَحْوَ الدَّرَج وَهِيَ تَصْرُخُ: «إنَّنا لَمْ نَفْقِدْ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدُ يا كُورْنلَيس . ثِقْ بِما أقولُ .»

وَانْهارَ كُورْنلَيس عَلى الأرْض وَهُوَ يَهْمِسُ قائِلاً : « لَقَدْ سُرِقَتْ ! لَقَدْ سُرِقَتْ زَنْبَقَتي !» وَأَخْفى وَجْهَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَراحَ يَبْكي .

الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالعِشْرونَ

رُوزا تُقابِلُ رَئيسَ الجَمْعِيَّة

غادَرَ بُوكْستِل السِّجْنَ وَمَعَهُ الزَّنْبَقَةُ مَلْفوفَةً في قِطْعَةٍ مِنَ القُماش، وَقَفَزَ إلى عَرَبَةٍ كانَتْ تَنْتَظِرُهُ ، وَانْطَلَقَتْ بِهِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يُسْرِعْ خَشْيَةَ أَنْ تَتْلَفَ الزَّهْرَةُ . وَأَخيراً وَصَلَ إلى مَدينَةِ دِلْفِت ، حَيْثُ اشْتَرى صُنْدوقاً وَوَضَعَ بِداخِلِهِ الزَّنْبَقَةَ بِعِنايَةٍ فائِقَةٍ . وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعُدْ يَخْشى أَنْ تَتْلَفَ ، وَبِذَلِكَ اسْتَطاعَ أَنْ يُسافِرَ بِسُرْعَةٍ .

وَقَدْ وَصَلَ إلى هارْلم في صَباحِ اليَوْمِ التَّالي . وَهُناكَ وَضَعَ الزَّنْبَقَةَ في أَصيصٍ جَديدٍ ، ثُمَّ حَطَّمَ الأَصيصَ القَديمَ وَأَلْقى بِحُطامِهِ في النَّهْرِ . وَكَتَبَ رِسالَةً إلى رَئيسِ جَمْعِيَّةِ زُرَّاعِ الأَزْهارِ يُبْلِغُهُ فيها بِأَنَّهُ وَصَلَ إلى هارْلم وَأَحْضَرَ مَعَهُ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ سَليمَةً ، ثُمَّ اتَّجَهَ بَعْدَ ذَلِكَ إلى أَحَدِ الفَنادِقِ الفَخْمَةِ وَانْتَظَرَ .

عِنْدَما تَرَكَتْ رُوزا كُورْنِلْيس كانَتْ قَدْ عَقَدَتِ العَزْمَ عَلى أَنْ تُعيدَ إِلَيْهِ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ المَسْروقَةَ ، وَإِلا فَلَنْ تَراهُ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَتَوَجَّهَتْ إلى غُرْفَتِها ، وَحَمَلَتْ مَعَها ما تَحْتاجُ إلَيْهِ لِرِحْلَتِها؛ فَأخَذَتِ الغيلْدَراتِ الثَّلاثَمِئَةِ ، وَالبِزْرَةَ الثَّالِثَةَ ، وَكانَتْ مَلْفوفَةً في الوَرَقَةِ الَّتي وَضَعَها فيها كُورْنِلْيس ، ثُمَّ ذَهَبَتْ لِتَبْحَثَ عَنْ عَرَبَةٍ. وَلَمْ يَكُنْ في المَكانِ سِوى عَرَبَةٍ واحِدَةٍ ، وَقَدْ أخَذَها – بِالطَّبْعِ – بوكْستِل ، وَلَمْ يَكُنْ أمامَها سِوى أنْ تَرْحَلَ عَلى جَوادٍ . وَكانَتْ تَأْمُلُ في أنْ تَلْحَقَ بِرالْف النّوتِيِّ الَّذي بَعَثَتْ بِهِ حامِلاً الرِّسالَةَ . وَسَرْعانَ ما رَأتْهُ سائِرًا في الطَّريقِ ، فَلَحِقَتْ بِهِ وَاسْتَرَدَّتْ مِنْهُ رِسالَتَها الَّتي لَمْ يَعُدْ يُجْدي إرْسالُها ، وَ واصَلَ رالْف الرِّحْلَةَ مَعَها .

وَوَصَلَتْ روزا إلى دِلْفِت في المَساءِ ذاتِهِ . وَفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي اتَّجَهَتْ إلى هارْلِم ، فَبَلَغَتْها بَعْدَ وُصولِ بوكْستِل إلَيْها بِأرْبَعِ ساعاتٍ فَقَطْ . وَقَصَدَتْ عَلى الفَوْرِ مَنْزِلَ السَّيِّدِ ڤان هِريسِن رَئيسِ جَمْعِيَّةِ زُرّاعِ الأزْهارِ ، وَطَلَبَتْ مُقابَلَتَهُ . وَلٰكِنَّها لَمْ تُجَبْ إلى طَلَبِها بِسَبَبِ انْشِغالِهِ ، فَقالَتْ لِخادِمِهِ : « هَلْ لَكَ أنْ تُبْلِغَ الرَّئيسَ بِأنَّني أوَدُّ الحَديثَ إلَيْهِ بِشَأنِ الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ ؟»

وَعادَ إلَيْها الخادِمُ مُسْرِعًا وَاصْطَحَبَها إلى داخِلِ المَنْزِلِ .

وَكانَ السَّيِّدُ ڤان هِريسِن ضَئيلَ الجِسْمِ ، نَحيفًا ، ذا رَأْسٍ كَبيرٍ. وَبَدا كَما لَوْ كانَ هُوَ نَفْسُهُ زَنْبَقَةً ! وَقَدْ بادَرَها قائِلاً : « لَقَدْ جِئْتِ



إذاً كَيْ تَتَحَدَّثي إلَيَّ عَن الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ ؟»

أجابَتْهُ رُوزا : « أجَلْ ، هَذا صَحيحٌ .»

« أ هِيَ سَليمَةٌ ؟ هَلْ أصابَها مَكْروهٌ ؟»

أجابَتْ : « لَقَدْ أصابَها – في الواقع – مَكْروهٌ جَسيمٌ . لَقَدْ سُرِقَتْ !»

« ماذا تَقولينَ ؟»

أجابَتْ رُوزا : « أجَلْ ، لَقَدْ سُرِقَتْ مِنّي .»

سَألَ الرَّئيسُ : « هَلْ تَعْرِفينَ اللِّصَّ ؟»

أجابَتْ : « أظُنُّ أنَّني أعْرِفُ اللِّصَّ ، وَلَكِنّي لَسْتُ مُتَأكِّدَةً ؛ لِذا يَنْبَغي ألا أتَكَلَّمَ .»

قالَ الرَّئيسُ : « لا أعْتَقِدُ أنَّ اللِّصَّ قَدِ ابْتَعَدَ كَثيراً ، فَقَدْ رَأيْتُ الزَّنْبَقَةَ مُنْذُ ساعَتَيْن .»

صاحَتْ رُوزا : « رَأيْتَ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ ؟»

أجابَها الرَّئيسُ : « لَقَدْ رَأيْتُها فِعْلاً .»

سَأَلَتْهُ رُوزا : « أَيْنَ رَأَيْتَها ؟»

أجابَها : « لَقَدْ رَأَيْتُها مَعَ سَيِّدِكِ . لَقَدْ عَرَضَها عَلَيَّ .»

صاحَتْ رُوزا : « سَيِّدي ؟!»

أجابَ الرَّئيسُ : « أَجَلْ ، أَلَسْتِ خادِمَةَ السَّيِّدِ أَيْزاك بُوكْستِل ؟»

قالَتْ رُوزا : « لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً بِهَذا الاسْم .»

قالَ الرَّئيسُ : « إذا كانَتِ الزَّنْبَقَةُ قَدْ سُرِقَتْ ، فَإِنَّها تَكونُ قَدْ سُرِقَتْ مِنَ السَّيِّدِ أَيْزاك بُوكْستِل .»

« هَلْ توجَدُ زَنْبَقَةٌ سَوْداءُ أُخْرى غَيْرُ زَنْبَقَتي ؟»

« أَجَلْ ، هُناكَ زَنْبَقَةُ السَّيِّدِ أَيْزاك بُوكْستِل .»

سَأَلَتْهُ رُوزا : « هَلْ هِيَ سَوْداءُ ؟»

« أَجَلْ .»

« أَهِيَ سَوْداءُ بِلَوْنِ الفَحْم وَلا يَشوبُها أَيُّ لَوْنٍ آخَرَ ؟»

« أَجَلْ .»

سَأَلْتهُ : « أ لَدَيْكَ هَذِهِ الزَّنْبَقَةُ هُنا ؟»

« لا ، إنَّها لَيْسَتْ هُنا ، وَلَكِنَّها سَوْفَ تُعْرَضُ عَلى المُحَكَّمينَ التَّابِعينَ لِجَمْعِيَّةِ زُرّاع الأَزْهار في هارْلم قَبْلَ أَنْ تُمْنَحَ الجائِزَةُ .»

صاحَتْ روزا : « سَيِّدي ، هَلْ هَذا المَدْعُوُّ أيْزاك بُوكْستِل ، الَّذي يُسَمّي نَفْسَهُ صاحِبَ الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ ، رَجُلٌ شَديدُ النَّحافَةِ ؟»

« أَجَلْ .»

سَأَلَتْ روزا : « هَلْ هُوَ أَصْلَعُ ؟»

« أَجَلْ .»

سَأَلَتْ روزا : « عَيْناهُ غائِرَتانِ ؟»

« أَجَلْ .»

« هَلْ يَميلُ بِرَأْسِهِ إلى الأَمامِ عِنْدَما يَمْشي ؟»

قالَ الرَّئيسُ : « لَقَدْ أَحْسَنْتِ وَصْفَ السَّيِّدِ بُوكْستِل .»

« وماذا عَنِ الزَّنْبَقَةِ ، هَلْ هي مَوْضوعَةٌ في أَصيصٍ أَبْيَضَ بِهِ عَلاماتٌ صَفْراءُ عَلى جَوانِبِهِ ؟»

قالَ الرَّئيسُ : « لَسْتُ مُتَأَكِّدًا مِنْ ذَلِكَ ، فَأَنا لَمْ أَنْظُرْ إِلى الأصيص ؛ فَقَدْ أَطَلْتُ النَّظَرَ أَكْثَرَ إِلى الزَّنْبَقَةِ لا إِلى الأصيص .»

قالَتْ رُوزا : « إِنَّها زَنْبَقَتي ، وَقَدْ سُرِقَتْ مِنّي ، وَقَدْ جِئْتُ لِأُطالِبَ بِها .»

قالَ السَّيِّدُ ڤان هِريسِن مُتَعَجِّبًا : « هَلْ تَقولينَ إِنَّ زَنْبَقَةَ السَّيِّدِ بُوكْستِل هِيَ زَنْبَقَتُكِ أَنْتِ ؟»

صاحَتْ رُوزا : « إِنَّني أَقولُ إِنَّ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ مِلْكي ، وإِنَّها قَدْ سُرِقَتْ مِنّي ، إِنَّها زَنْبَقَتي .»

« زَنْبَقَتُكِ أَنْتِ ؟»

صَرَخَتْ رُوزا قائِلَةً : « أَجَلْ ، فَأَنا الَّتي زَرَعْتُها وَرَعَيْتُها . إِنَّها زَنْبَقَتي ! إِنَّها زَنْبَقَتي !»

« اِذْهَبي وَابْحَثي عَنِ السَّيِّدِ بُوكْستِل . اِذْهَبي إِلى فُنْدُقِ «الحِصانِ الأَبْيَض» حَيْثُ يُقيمُ . وَبِوُسْعِكِ أَنْ تَتَحَدَّثي إِلَيْهِ وَتُسَوِّي الأَمْرَ مَعَهُ . أَمّا أَنا فَسَأَكْتُبُ إِلى المُحَكِّمينَ وَأُبْلِغُهُمْ أَنَّني قَدْ عايَنْتُ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ ، وَأَنَّ جائِزَةَ مِئَةِ أَلْفِ الغيلْدَر سَتُدْفَعُ لِمَن استَنْبَتَها . إِلى اللِّقاءِ يا بُنَيَّتي .»

صاحَتْ رُوزا : « يا سَيِّدي ! يا سَيِّدي !»

« إنَّكِ شابَّةٌ وَجَميلَةٌ ، وَيَبْدو أنَّ مَعْدِنَكِ أصيلٌ ، فَكوني حَريصَةً. وَاعْلَمي أنَّ في هارْلم سِجْنًا ، وَأنَّ أولَئِكَ الَّذينَ لا يَقولونَ الحَقيقَةَ يودَعونَ السِّجْنَ .» وَتَناوَلَ قَلَمَهُ وَشَرَعَ في الكِتابَةِ . وَانْصَرَفَتْ رُوزا مُتَّخِذَةً طَريقَها إلى فُنْدُقِ «الحِصان الأَبْيَض» .

الفَصْلُ الخامِسُ وَالعِشْرونَ

أميرُ أورانْج

ذَهَبَتْ رُوزا إلى فُنْدُقِ « الحِصان الأبْيَض » يَتْبَعُها النّوتيُّ الشّابُّ الّذي كانَ يَحْمِلُ رسالتَها . وَكانَ فَتًى قَوِيًّا مُسْتَعِداً لِمُنازَلَةِ أيِّ شَخْص ، وَكانَتْ رُوزا قَدْ رَوَتْ لَهُ القِصَّةَ بِأكْمَلِها .

وَبَيْنَما كانَتْ تَسيرُ في الطَّريقِ طَرَأَتْ لها فَجْأَةً فِكْرَة ؛ فَصَرَخَتْ قائِلَةً : « لَقَدْ أخْطَأتُ خَطأً جَسيماً ! لَكَأنّني بِما فَعَلْتُ أنْذَرْتُ بُوكْستِل ، فَسَيَعْرِفُ أنَّني هُنا ، وَسَيَنْضَمُّ إلى بَقِيَّةِ الرِّجالِ، وَيَكونونَ جَميعاً ضِدّي . وَلَعَلَّ هَذا الرَّجُلَ لَيْسَ جاكوب ، فَقَدْ يَكونُ رَجُلاً آخَرَ قامَ بِدَوْرِهِ بِاسْتِنْباتِ زَنْبَقَةٍ سَوْداءَ . وَحَتّى لَوْ كانَ هَذا الشَّخْصُ هُوَ جاكوب فَإنَّ الزَّنْبَقَةَ سَوْفَ تَموتُ أثْناءَ شِجارِنا ، فَماذا أفْعَلُ ؟»

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ عَلَتْ جَلَبَةٌ في الطَّريقِ ، وَسُمِعَتْ أصْواتُ أبْوابٍ تُفْتَحُ وَتُغْلَقُ ، وَكانَ النّاسُ يَجْرونَ هُنا وَهُناكَ . وَصاحَ بَعْضُهُمْ: « الأميرُ قادِمٌ !» وَلَكِنَّ رُوزا لَمْ تَلْحَظْ شَيْئاً ، وَقالَتْ لِنَفْسِها: « يَنْبَغي أنْ نَعودَ إلى الرَّئيس .»

كانَ السَّيِّدُ ڤانْ هِريسِن لا يَزالُ يَجْلِسُ إلى مَكْتَبِهِ يَكْتُبُ ، وَعِنْدَما شاهَدَ رُوزا استَشاط غَضَباً ، وَصاحَ : « اِنْصَرِفي ! لا تَدْخُلي إلى هُنا ! اِذْهَبي إلى فُنْدُقِ « الحِصانِ الأَبْيَضِ » أوِ اذْهَبي... »

« أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ تُنْصِتَ إلى ما أقولُ ، وَإلا فَسَتَنْدَمُ إذا مَنَحْتَ الجائِزَةَ مَنْ لا يَسْتَحِقُّها ؛ فَماذا سَيَقولُ الناسُ عَنْكَ ؟ أَنْصِتْ إِلَيَّ. اِسْتَدْعِ بُوكْستِل هَذا لِيَقِفَ هُنا أمامَنا . إنَّني أُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّ بُوكْستِل هُوَ ذاتُهُ السَّيِّدُ جاكوب ، وَأَنَّ الزَّنْبَقَةَ مِلْكي . وَإذا تَبَيَّنْتَ أَنَّني لا أَعْرِفُ هَذا الرَّجُلَ ، أَوْ أَنَّني لَمْ أَرَهُ قَطُّ مِنْ قَبْلُ ، وَأَنَّ الزَّنْبَقَةَ لَيْسَتْ لي ، فَلَنْ أَتَكَلَّمَ ، وَلَكَ أَنْ تَفْعَلَ بي ما تَشاءُ . »

قالَ الرَّئيسُ : « هَبي أَنَّكِ قُلْتِ إِنَّهُ هُوَ جاكوب ، وَأَنَّ الزَّنْبَقَةَ مِلْكُكِ ، فَما دَليلُكِ ؟ »

قالَتْ رُوزا : « إِنَّكَ رَجُلٌ أَمينٌ ، وَلَنْ تَمْنَحَ الجائِزَةَ مَنْ لا يَسْتَحِقُّها ، وَأَنا كَذَلِكَ أَمينَةٌ ، وَلَنْ أَقْبَلَ جائِزَةً لَيْسَتْ مِنْ حَقّي . »

وَتَأَهَّبَ ڤان هِريسِن لِلْكَلام ، وَقَبْلَ أَنْ يَقولَ شَيْئاً سُمِعَتْ صَيْحاتٌ عالِيَةٌ في الطَّريقِ ، فَقَفَزَ فَجْأَةً مِنْ كُرسِيِّهِ صائِحاً : « ما هَذا ؟ هَلْ ما سَمِعْتُهُ صَحيحٌ ؟ أَ هَذا مُمْكِنٌ ؟ » وَجرى خارِجاً مِنَ الحُجْرَةِ .

وَما إنْ وَصَلَ ڤان هِريسِن إلى أعْلى الدَّرَج حَتّى شاهَدَ شَابًّا يَصْعَدُهُ ، وَقَدِ ارْتَدى حُلَّةً زَرْقاءَ حَريرِيَّةً ، زُرْكِشَتْ بِالفِضَّةِ . وَكانَ يَتْبَعُهُ كَثيرٌ مِنَ الوُجَهاءِ ، فَانْحَنى لَهُ تَحِيَّةً ، وَقالَ: « سَيِّدي !» كانَ الشّابُّ هُوَ أميرَ أورانْج ، حاكِمَ هُولَنْدا .

قالَ ڤان هِريسِن : « سَيِّدي ، لِيَ الشَّرَفُ !»

قالَ الأميرُ : « يا عَزيزي ڤان هِريسِن ، إنَّني مِثْلُ كُلِّ شَعْبِ هُولَنْدا ، أُحِبُّ رُكوبَ الزَّوارِقِ ، كَما أُحِبُّ الجُبْنَ وَالأزْهارَ ، وَمِنْ أحَبِّ الأزْهارِ إلى نَفْسي الزَّنابِقُ . وَقَدْ نَمى إلى عِلْمي أنَّهُ قَدْ تَمَّ إنْباتُ زَنْبَقَةٍ سَوْداءَ رائِعَةٍ ، فَأَتَيْتُ لِأَسْأَلَ عَنْها ؛ فَهَلْ هِيَ هُنا ؟»

أجابَ ڤان هِريسِن : « آسِفٌ يا سَيِّدي ، فَهِيَ لَيْسَتْ هُنا ؟»

سَأَلَهُ الأميرُ: « أيْنَ هِيَ ؟»

أجابَ : « إنَّها مَعَ مالِكِها ، وَهُوَ أحَدُ زُرّاعِ الأزْهارِ في مَدينَةِ دُرْت . وَهُوَ الآنَ في فُنْدُقِ « الحِصان الأبْيَض » وَاسْمُهُ بُوكْستِل .»

قالَ الأميرُ يَأمُرُهُ : « أرْسِلوا في طَلَبِهِ .»

قالَ ڤان هِريسِن : « نَعَمْ يا سَيِّدي ، وَلَكِنْ ...»

« ما الأمْرُ ؟»

قالَ ڤان هِريسِن مُتَرَدِّداً : « لا شَيْءَ . لا شَيْءَ لَهُ أَهَمِّيَّةٌ تُذْكَرُ .»

قالَ الأميرُ: « لِكُلِّ شَيْءٍ أَهَمِّيَّتُهُ الَّتي تُذْكَرُ .»

قالَ ڤان هِريسِن : « لَدَيْنا مُشْكِلَةٌ صَغيرَةٌ .»

سَأَلَ الأميرُ : « ما هِيَ المُشْكِلَةُ ؟»

أجابَ : « هُنا فَتاةٌ تَدَّعي أَنَّ تِلْكَ الزَّنْبَقَةَ مِلْكُها ، وَأَنَّها سُرِقَتْ مِنْها .»

سَأَلَهُ الأميرُ : « ماذا تَرى أَنْتَ ؟»

أجابَ : « أَرى يا سَيِّدي أَنَّها قَدْ تَكونُ غَيْرَ أَمينَةٍ وَتَطْمَعُ في الحُصولِ عَلى مِئَةِ أَلْفِ الغيلْدَر .»

سَأَلَ الأميرُ : « كَيْفَ تُثْبِتُ أَنَّ الزَّهْرَةَ مِلْكُها ؟»

قالَ ڤان هِريسِن : « إِنَّ هَذا هُوَ ما كُنْتُ أَسْتَجْوِبُها بِشَأْنِهِ عِنْدَما جِئْتَ أَنْتَ يا سَيِّدي !»

قالَ الأميرُ : « اِسْتَجْوِبْها إِذاً ! اِسْتَجْوِبْها الآنَ ! وَسَأَحْكُمُ في الأَمْرِ .»

وَدَخَلَ الأميرُ وَهِريسِن إلى الغُرْفَةِ الّتي كانَتْ تَقِفُ فيها رُوزا ، فاسْتَدارَتْ وَنَظَرَتْ إليْهِما ، وَلَمّا كانَتْ لاتَعْرِفُ الأميرَ ، فَإِنَّها لَمْ تُعِرْهُ اهْتِماماً . وَتَناوَلَ الأميرُ كِتاباً وَأَخَذَ يَقْرَأُ ، أَوْ عَلى الأَقَلِّ تَظاهَرَ بِالقِراءَةِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ عَنِ الكِتابِ وَ أَوْمَأَ إلى ڤان هِريسِن قائِلاً: «ابْدَأْ .» وَواصَلَ هُوَ القِراءَةَ .

أخَذَ ڤان هِريسِن مَجْلِسَهُ عَلى حينَ ذَهَبَ ضابِطٌ لاِسْتِدْعاءِ بُوكْستِل . وَخاطَبَ ڤان هِريسِن رُوزا قائِلاً: « أَ تَعِدينَني يابُنَيَّتي بِأَنْ تَذْكُري لي كُلَّ الحَقيقَةِ بِشَأْنِ هَذِهِ الزَّنْبَقَةِ ؟»

أجابَتْ رُوزا : « أَجَلْ ، أَعِدُكَ بِذَلِكَ .»

قالَ ڤان هِريسِن : « بِوُسْعِكِ أَنْ تَتَكَلَّمي أَمامَ هَذا السَّيِّدِ ، فَهُوَ أَحَدُ أَعْضاءِ جَمْعِيَّةِ زُرّاعِ الأَزْهارِ .»

قالَتْ رُوزا : « وَلَكِنْ ماذا أَقولُ لَكَ ؟ لَقَدْ قُلْتُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ بِالفِعْلِ .»

قالَ الرَّئيسُ : « ما الّذي تُريدينَهُ إذاً ؟»

أجابَتْ رُوزا: « أُريدُ مِنْكَ أَنْ تَسْتَدْعِيَ السَّيِّدَ بُوكْستِل إلى هُنا وَمَعَهُ الزَّنْبَقَةُ . فَإِذا لَمْ تَكُنْ زَنْبَقَتي فَإِنَّني سَأَعْتَرِفُ بِذَلِكَ صَراحَةً؛ أَمّا

إذا كانَتْ زَنْبَقَتي فَسَأُطالِبُ بِاسْتِعادَتِها مِنْهُ ، حَتّى لَوِ اقْتَضى الأَمْرُ أَنْ أَذْهَبَ في سَبيلِ ذَلِكَ إِلى أَميرِ أورانْج نَفْسِهِ.»

سَأَلَها ڤان هِريسِن : « وَكَيْفَ تُثْبِتينَ أَنَّ الزَّنْبَقَةَ لَكِ ؟»

قالَتْ : « سَيُساعِدُني اللّهُ عَلى إِثْباتِ ذَلِكَ .»

وَعِنْدَما نَظَرَ أَميرُ أورانْج إِلى رُوزا تَذَكَّرَها ، وَتَساءَلَ في نَفْسِهِ : أَيْنَ سَمِعَ هَذا الصَّوْتَ الحُلْوَ مِنْ قَبْلُ ؟

وَعادَ ڤان هِريسِن يَسْأَلُ : « لِماذا تُصِرّينَ عَلى أَنَّ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ مِلْكُكِ ؟»

أَجابَتْ رُوزا : « أَقولُ ذَلِكَ لأَنَّها قَدْ غُرِسَتْ وَنَمَتْ في غُرْفَتي.»

« في غُرْفَتِكِ ؟ وَأَيْنَ غُرْفَتُكِ هَذِهِ ؟»

أَجابَتْ : « إِنَّها في لوفِسْتايْن . إِنَّني ابْنَةُ حارِسِ السِّجْنِ هُناكَ.»

وَتَطَلَّعَ إِلَيْها الأَميرُ ، وَقالَ بِصَوْتٍ خافِتٍ: « لَقَدْ تَذَكَّرْتُ الآنَ!» وَأَخَذَ يُراقِبُ رُوزا بِاهْتِمامٍ أَكْبَرَ .

سَأَلَها ڤان هِريسِن : « هَلْ تُحِبّينَ الأَزْهارَ ؟»



أجابَتْ : « أجَلْ يا سَيِّدي .»

سَألَها : « هَلْ تَعْرِفينَ الكَثيرَ عَنْها ؟»

وَلَمْ تُجِبْ رُوزا ، فَعادَ يَسْألُها: « أقولُ هَلْ تَعْرِفينَ الكَثيرَ عَن الأزْهارِ ؟»

وَامْتَنَعَتْ رُوزا عَن الإجابَةِ لَحْظَةً ، ثُمَّ قالَتْ : « هَلْ لي أنْ أثِقَ بِكَ كَرَجُلٍ شَريفٍ ؟»

أجابَ : « أجَلْ بِالطَّبْع .»

قالَ الأميرُ : «أجَلْ ! أجَلْ !»

« إنَّني لا أعْرِفُ الكَثيرَ عَن الأزْهارِ ، فَما أنا إلا فَتاةٌ بَسيطَةٌ ؛ فَمُنْذُ ثَلاثَةِ أشْهُرٍ لَمْ أكُنْ أعْرِفُ حَتّى القِراءَةَ وَالكِتابَةَ . إنَّ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ لَيْسَتْ مِن اكْتِشافي .»

سَألَها : « مَن اكْتَشَفَها إذاً ؟»

أجابَتْ : « إنَّها مِن اكْتِشافِ سَجين مِسْكين في لُوفِسْتايْن .»

وَكانَتْ ثَمَّةَ دَهْشَةٌ في صَوْتِ الأميرِ وَهُوَ يَقولُ ، بَعْدَ أنْ تَأكَّدَ

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ أيْنَ وَمَتى سَمعَ هَذا الصَّوْتَ : « إنَّهُ سَجينٌ لَهُ صِفَةٌ خاصَّةٌ أرْسَلَتْهُ الحُكومَةُ ، أعْني أنَّهُ سَجينٌ سِياسِيٌّ ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

قالَتْ رُوزا: « بَلى ؛ لَقَدْ زَرَعَ الزَّنْبَقَةَ سَجينٌ سِياسِيٌّ .»

قالَ الأميرُ: « اِسْتَمِرّي ، اِسْتَمِرّي في الكَلام حَتّى نَسْمَعَ بَقِيَّةَ القِصَّةِ .»

قالَتْ رُوزا: « آهٍ يا سَيِّدي ! يَبْدو أنَّني أوقِعُ نَفْسي في المَشاكِلِ.»

قالَ ڤان هِريسِن: « هَذا صَحيحٌ ، فَالأوامِرُ تَقْضي بِألا يَتَحَدَّثَ أحَدٌ إلى أيِّ سَجين سِياسِيٍّ . أ لا تُوجَدُ مِثْلُ هَذِهِ الأوامِرِ ؟»

أجابَتْ رُوزا: « بَلى يا سَيِّدي .»

قالَ ڤان هِريسِن: « وَأنْتِ يا ابْنَةَ حارس السِّجْن ، تَحَدَّثْتِ إلى هَذا السَّجين عَنْ تَرْبِيَةِ الأزْهارِ ، ألَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

أجابَتْ رُوزا مُرْتَعِبَةً: « بَلى يا سَيِّدي . وَكُنْتُ أراهُ كُلَّ يَوْم .»

قالَ ڤان هِريسِن: « إنَّهُ أمْرٌ بالغُ السُّوءِ أنْ تَتَحَدَّثي إلى سَجين سِياسِيٍّ كُلَّ يَوْم .»

وَرَأى الأميرَ مَدى الخَوْفِ الَّذي اعْتَرى رُوزا ، فَتَطَلَّعَ إلَيْها وَقالَ:

« إنَّ هَذا الأمْرَ لَيْسَ مِن اخْتِصاص جَمْعِيَّةِ زُرّاع الأزْهارِ في هارْلم . إنَّهُ مِن اخْتِصاصاتِ قُضاةِ المحْكَمَةِ ، أمّا أنْتَ فَبِاعْتِبارِكَ رَئيسَ جَمْعِيَّةِ زُرّاع الأزْهارِ فَما عَلَيْكَ إلا أنْ تَحْكُمَ في مَوْضوع الزَّنْبَقَةِ . اِسْتَمِرّي أيَّتُها الشّابَّةُ ، اِسْتَمِرّي .»

قالَ ڤانْ هِريسِن : « شُكْرًا لَكَ يا سَيِّدي !»

وَشَعَرَتْ رُوزا بِبَعْضِ الاطْمِئْنانِ ، فَرَوَتْ كُلَّ ما حَدَثَ طَوالَ الأشْهُرِ الثَّلاثَةِ الماضِيَةِ . وَحَكَتْ عَنْ قَسْوَةِ غِريفِس في مُعامَلَةِ السَّجين ، وَكَيْفَ أتْلِفَتِ البِزْرَةُ الأولى ، وَمَبْلَغ حُزْنِ السَّجين عَلَيْها. وَأوْضَحَتِ المَشاقَّ الَّتي مَرَّ بِها لإنْباتِ البِزْرَةِ الثّانِيَةِ ، وَالمُعاناةَ الَّتي لَحِقَتْهُ حينَ امْتَنَعَتْ عَنْ لِقائِهِ حَتّى إنَّهُ امْتَنَعَ عَنْ تَناوُلِ الطَّعام ، وَمَدى سَعادَتِهِ عِنْدَما عادَتْ لِلِقائِهِ . وَأخيرًا حَكَتْ كَيْفَ سُرِقَتِ الزَّنْبَقَةُ بَعْدَ ساعَةٍ واحِدَةٍ مِنْ تَفَتُّحِها .

وَكانَتْ رُوزا تَتَكَلَّمُ بِبَساطَةٍ جَعَلَتْ ڤان هِريسِن يُؤْمِنُ بِصِدْقِ ما تَقولُ .

قالَ الأميرُ : « وَلَكِنَّ مَعْرِفَتَكِ بِالسَّجين لَمْ تَبْدَأْ مُنْذُ زَمَن بَعيدٍ ؟»

وَحَدَّقَتْ رُوزا بِعَيْنَيْها الواسِعَتَيْن إلى هَذا الغَريبِ ، وَبَدا الأميرُ

وَكَأَنَّهُ يَتَراجَعُ إلى رُكْنِ الحُجْرَةِ خَشْيَةَ أَنْ تَنْكَشِفَ شَخْصِيَّتُهُ .

سَأَلَتْهُ رُوزا : « كَيْفَ عَرَفْتَ ذَلِكَ ؟ لِمَ تَقولُ هَذا ؟»

قالَ الأميرُ : « لأَنَّ غِريفِس حارِسَ السِّجْنِ وَابْنَتَهُ لَمْ يُنْقَلا مِنْ مَدينَةِ لاهاي إلى لوفِسْتايْن إلا مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ .»

قالَتْ رُوزا : « هَذا صَحيحٌ يا سَيِّدي .»

« أَنْتِ نَفْسُكِ طَلَبْتِ أَنْ يُنْقَلَ والِدُكِ مِنْ لاهاي إلى لُوفِسْتايْن ، وَفَعَلْتِ هَذا لِتَلْحَقي بِهَذا السَّجين ؛ أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

وَأَطْرَقَتْ رُوزا حَياءً قائِلَةً : « سَيِّدي !»

سَأَلَها الأميرُ : « ما قَوْلُكِ في هَذا ؟»

أجابَتْ : « عَرَفْتُ السَّجينَ في لاهاي .»

قالَ الأميرُ : « يا لَهُ مِنْ سَجين سَعيدِ الحَظِّ !»

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ كانَ الضّابِطُ الَّذي أَرْسِلَ لاِسْتِدْعاءِ بُوكْستِل قَدْ عادَ ، وَقالَ إِنَّ بُوكْستِل قادِمٌ يَحْمِلُ الزَّنْبَقَةَ .

الفَصْلُ السادِسُ وَالعِشْرونَ

الأميرُ وَ بُوكْستِل

دَخَلَ بُوكْستِل إلى الغُرْفَةِ الخارِجِيَّةِ يَتْبَعُهُ رَجُلانِ يَحْمِلانِ صُنْدوقاً كَبيراً وَضَعاهُ عَلى المِنْضَدَةِ ، وَفَتَحَ الصُّنْدوقَ ، فَظَهَرَتِ الزَّنْبَقَةُ بِداخِلِهِ .

وَنَهَضَ الأميرُ مِنْ مَجْلِسِهِ ، وَاتَّجَهَ إلى الحُجْرَةِ الخارِجِيَّةِ وَعايَنَ الزَّهْرَةَ ثُمَّ عادَ .

وَسَمِعَتْ رُوزا صَوْتَ بُوكْستِل فَصاحَتْ : « إنَّهُ هُوَ ! إنَّهُ جاكوب !»

قالَ لها الأميرُ بِهُدوءٍ : « اِذْهَبي إلى البابِ وَانْظُري إلَيْهِ .»

وَأسْرَعَتْ رُوزا إلى البابِ ، ثُمَّ صَرَخَتْ: « إنَّها زَنْبَقَتي ! إنَّني أعْرِفُها . آهٍ ياكُورْنلْيَس المِسْكينُ !»

وَذَهَبَ الأميرُ إلى البابِ ، فَسَقَطَتْ أشِعَّةُ الشَّمْس الوَضّاءَةُ ، المُتَسَلِّلَةُ عَبْرَ النافِذَةِ ، عَلى وَجْهِهِ ، فَازْدادَ إحْساسُ رُوزا بِأنَّها رَأتْ

ذَلِكَ الرَّجُلَ في مَكانٍ ما مِنْ قَبْلُ .

قالَ الأميرُ : « هَلْ لكَ أنْ تَأتِيَ إلى هُنا يا سَيِّدُ بُوكْستِل ؟»

دَخَلَ بُوكْستِل الغُرْفَةَ ، ثُمَّ صاحَ : « إنَّهُ أميرُ أورانْج ! سَيِّدي!»

صاحَتْ رُوزا : « أميرُ أورانْج !»

وَما إنْ سَمعَ بُوكْستِل صَوْتَ رُوزا حَتّى الْتَفَتَ إلَيْها وَقَدْ أساءَتْهُ المُفاجَأةُ .

وَقالَ الأميرُ لِنَفْسِهِ : « لَمْ تَسُرَّهُ رُؤْيَةُ رُوزا !»

وَحاوَلَ بُوكْستِل أنْ يَتَمالَكَ نَفْسَهُ .

وَقالَ لَهُ الأميرُ : « لَقَدْ تَوَصَّلْتَ يا سَيِّدُ بُوكْستِل إلى سِرِّ إنْباتِ الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

أجابَ بُوكْستِل بِصَوْتٍ مُرْتَعِشٍ : « بَلى يا سَيِّدي .»

قالَ الأميرُ: « وَلَكِنْ لَدَيْنا هُنا شابَّةٌ تَدَّعي أنَّها هِيَ الَّتي تَوَصَّلَتْ إلى ذَلِكَ .»

ضَحِكَ بُوكْستِل ضَحْكَةً قَصيرَةً ، وَكانَ الأميرُ يَرْقُبُهُ عَنْ كَثَبٍ، ثُمَّ سَأَلَهُ : « إذاً فَأنْتَ لا تَعْرِفُ هَذِهِ الفَتاةَ ؟»

أجابَ بُوكْستِل : « نَعَمْ يا سَيِّدي .»

قالَ الأميرُ : « وَأَنْتِ يا بُنَيَّتي ، هَلْ تَعْرِفينَ السَّيِّدَ بُوكْستِل ؟»

أجابَتْ رُوزا : « لا يا سَيِّدي ، فَأَنا لا أَعْرِفُ السَّيِّدَ بُوكْستِل ، وَلكِنّي أَعْرِفُ السَّيِّدَ جاكوب .»

سَأَلَها الأميرُ : « ماذا تَعْنينَ ؟»

أجابَتْ : « أَعْني أَنَّ هَذا الرَّجُلَ عِنْدَما كانَ في لوفِسْتايْن ، أَطْلَقَ عَلى نَفْسِهِ اسْمَ السَّيِّدِ جاكوب .»

سَأَلَهُ الأميرُ: « ما قَوْلُكَ في هَذا يا سَيِّدُ بُوكْستِل ؟»

أجابَ بُوكْستِل : « أَقولُ إِنَّها غَيْرُ صادِقَةٍ .»

سَأَلَهُ الأميرُ : « هَلْ تَقولُ إِنَّكَ لَمْ تَذْهَبْ قَطُّ إِلى لوفِسْتايْن ؟»

لَمْ يُجِبْ بُوكْستِل عَلى الفَوْرِ ، وَكانَتْ عَيْنا الأميرِ مُثَبَّتَتَيْنِ عَلَيْهِ.

قالَ بُوكْستِل أَخيراً : « لَقَدْ ذَهَبْتُ إِلى لوفِسْتايْن ، وَلكِنّي لَمْ أَسْرِقِ الزَّنْبَقَةَ .»

صاحَتْ رُوزا غاضِبَةً : « لَقَدْ سَرَقْتَها ! سَرَقْتَها مِنْ غُرْفَتي !»

« لَمْ أسْرِقْها .»

قالَتْ رُوزا : « الآنَ أنْصِتْ لِما سأقولُ . أ لَمْ تَتَعَقَّبْني في الحَديقَةِ عِنْدَما كُنْتُ أمَهِّدُ التُّرْبَةَ لِغَرْسِ البِزْرَةِ ؟ أ لَمْ تَتَعَقَّبْني يَوْمَ أنْ تَظاهَرْتُ بِأنَّني أغْرِسُها ؟ وَعِنْدَما غادَرْتُ الحَديقَةَ ، أ لَمْ تُهْرَعْ إلى المَكانِ الَّذي كُنْتَ تَأمُلُ أنْ تَعْثُرَ فيه عَلى البِزْرَةِ ؟ أ لَمْ تَنْبُشِ التُّرْبَةَ بِكِلْتا يَدَيْكَ دونَ أنْ تَعْثُرَ عَلَيْها ، لِأنَّها لَمْ تَكُنْ في التُّرْبَةِ؟ كُلُّ هَذا لَمْ يَكُنْ سِوى حيلَةٍ مِنّي ، لِأكْتَشِفَ بِها حَقيقَتَكَ ، وَهِيَ أنَّكَ لِصٌّ ! أجِبْ . أ لَيْسَ ذَلِكَ كُلُّهُ صَحيحاً ؟»

وَلَمْ يُحِرْ بُوكْستِل جَواباً ، وَلَكِنَّهُ الْتَفَتَ إلى الأميرِ قائِلاً : « سَيِّدي، لَقَدْ قَضَيْتُ عِشْرينَ عاماً أزْرَعُ الزَّنابِقَ في مَدينَةِ دُرْت ، كَما أنَّني مَعْروفٌ جَيِّداً بَيْنَ زُرّاعِ الزَّنابِقِ ، وَقَدْ أنْتَجْتُ أنْواعاً عَديدَةً مِنْها . وَلَمّا عَلِمَتْ هَذِهِ الفَتاةُ أنَّني أنْتَجْتُ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ ، أعَدَّتْ خُطَّةً مَعَ حَبيبِها السَّجين في لوفِسْتاين لِلاسْتيلاءِ عَلى جائِزَةِ مِئَةِ ألْفِ الغِيلْدَر .»

اِشْتَدَّ الغَضَبُ بِرُوزا فَصاحَتْ: « يا إلَهي ! يا إلَهي !»

قالَ الأميرُ: « السُّكونَ !» ثُمَّ الْتَفَتَ إلى بُوكْستِل وَسَألَهُ: «مَنْ هُوَ ذَلِكَ السَّجينُ الَّذي تَقولُ إنَّهُ حَبيبُ الفَتاةِ ؟»

وَشَعَرَتْ بِالخَوْفِ عَلى كُورْنلْيَس الّذي كانَ يُعْتَبَرُ سَجيناً خطِراً، وَيُفْرَضُ عَلى حارِسِهِ أَنْ يُراقِبَهُ مُراقَبَةً دَقيقَةً . أمّا بُوكْستِل فَقَدْ سُرَّ لِسَماعِهِ السُّؤالَ ، وَأَجابَ: « إنَّ السَّجينَ ، يا سَيِّدي ، رَجُلٌ خَطِرٌ . وَقَدْ حَكَمَ عَلَيْهِ القاضي أَوَّلَ الأَمْرِ بِأَنْ يُفْصَلَ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ . وَمِثْلُ هَذا الرَّجُل ، يا سَيِّدي ، لايُمكِنُ تَصْديقُهُ .»

سَأَلَهُ الأَميرُ : « ما اسْمُهُ ؟»

وَأَخْفَتْ رُوزا وَجْهَها بَيْنَ راحَتَيْها .

أَجابَ بُوكْستِل : « إنَّ اسْمَهُ كُورْنلْيَس ڤان بارْل ، وَقَدْ كانَ صَديقاً لِكُورْنلْيَس دِي وِت .»

وَبَدَتْ عَلى الأَميرِ عَلاماتُ الدَّهْشَةِ ، وَلَمَعَتْ عَيْناهُ ، وَاتَّجَهَ بِبَصَرِهِ إلى رُوزا ، وَقالَ: « اِرْفَعي يَدَيْكِ عَنْ وَجْهِكِ . لَقَدْ طَلَبْتِ مِنّي ذاتَ يَوْم أَنْ أَنْقُلَ والِدَكِ مِنْ مدينَةِ لاهاي إلى مَدينَةِ لوڤِسْتايْن ، لأَنَّكِ كُنْتِ تَرْغَبينَ في اللَّحاقِ بِڤان بارْل ؛ أَلَيْسَ ذَلِكَ صَحيحاً ؟»

أَجابَتْ رُوزا : « بَلى ، هَذا صَحيحٌ .»

قالَ الأَميرُ لِبُوكْستل : « اِمْضِ في حَديثِكَ .»

قالَ بوكْستِل : « ليْسَ لَدَيَّ المَزيدُ لأضيفَهُ ، فَكُلُّ شَيْءٍ مَعْروفٌ لكُمْ . وَلكِنْ ثَمّةَ شَيْءٌ واحِدٌ أَوَدُّ أنْ أضيفَهُ ، وَلكِنّي لَمْ أَوَدَّ أنْ أذْكُرَهُ مِنْ قَبْلُ ، فَلَيْسَ مِنْ طَبْعِ الرِّجالِ أنْ يَقولوا مِثْلَهُ . لَقَدْ تَوَجَّهْتُ إلى لوفِسْتايْن لإنْجاز بَعْضِ الأعْمالِ ، وَالْتَقَيْتُ غريفِس ، وَكُنْتُ أرْغَبُ في الزَّواجِ بِابْنَتِهِ روزا . إنَّني لسْتُ رَجُلاً ثَرِيًّا ، وَلكِنّي أخْبَرْتُها وَأَخْبَرْتُ والِدَها بِأنَّني آمُلُ في أنْ أظْفَرَ بِمِئَةِ أَلْفِ غيلْدَر ، وَهِيَ قيمَةُ الجائِزَةِ عَنْ زَنْبَقَتي . وَقَدْ أطْلَعْتُها عَلى النَّبْتَةِ . وَكانَ حَبيبُ هَذِهِ الفَتاةِ قَدْ زَرَعَ بِدَوْرِهِ بَعْضَ أَنْواعِ الزَّنابِقِ في مَدينَةِ دُرْت ، وَلَكِنَّهُ كانَ في حَقيقَةِ الأمْرِ يَتآمَرُ عَلى الحُكومَةِ ، وَما كانَ يَزْرَعُ الزَّنابِقَ إلا لِيُخْفِيَ حَقيقَةَ العَمَلِ الَّذي يَقومُ بِهِ . وَقَدْ عَقَدَ غريفِس وَابْنَتُهُ العَزْمَ على أنْ يَسْرِقا زَنْبَقَتي . وَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتي كانَ مِنَ المُتَوَقَّعِ أنْ تَتَفَتَّحَ فيها الزَّهْرَةُ ، اِسْتَوْلَتْ هَذِهِ الفَتاةُ على النَّبْتَةِ ، وَأخَذَتْها إلى غُرْفَتِها ، وَعَرَضَتْها عَلى النّاسِ بِاعْتِبارِها زَنْبَقَتَها . وَقَدْ حَرَّرَتْ رِسالَةً إلى رَئيسِ جَمْعِيَّةِ زُرّاعِ الأزهارِ أبْلَغَتْهُ فيها بِأنَّها قَدْ نَجَحَتْ في إنْتاجِ الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ . وَقَدِ اسْتَعَدْتُ الزَّنْبَقَةَ مِنْ حُجْرَتِها بَعْدَ ذَلِكَ .»

صَرَخَتْ روزا : « أكاذيبُ ! أكاذيبُ !» وَأَلْقَتْ بِنَفْسِها عِنْدَ قَدَمَي الأميرِ .

الفَصْلُ السّابِعُ وَالعِشْرونَ

أيْنَ البِزْرَةُ الثّالِثَةُ ؟

ظَنَّ الأَميرُ أنَّ رُوزا آثِمَةٌ ، إلا أنَّهُ شَعَرَ بِالأَسَفِ مِنْ أجْلِها ، وَهِيَ مُلْقاةٌ عِنْدَ قَدَمَيْهِ ، فَقالَ لَها: « لَقَدِ ارْتَكَبْتِ خَطَأً فادِحًا يا بُنَيَّتي ، وَلَعَلَّ حَبيبَكِ هُوَ الّذي دَفَعَكِ إلى ارْتِكابِ الخَطَأِ . فَأَنْتِ صَغيرَةُ السِّنِّ وَتَبْدو عَلَيْكِ أماراتُ الأَمانَةِ ، وَلا أعْتَقِدُ أنَّ الخَطَأَ كُلَّهُ خَطَؤُكِ .»

صاحَتْ رُوزا: « سَيِّدي ! سَيِّدي ! إنَّ كُورْنلْيس لَمْ يَرْتَكِبْ خَطَأً عَلى الإطْلاقِ .»

قالَ الأَميرُ: « أَ تَقْصِدينَ أنَّهُ لَمْ يَطْلُبْ إلَيْكِ أنْ تَسْرِقي الزَّنْبَقَةَ ؟»

« إنَّهُ حَتّى لَمْ يَرْتَكِبِ الخَطَأَ الّذي مِنْ أجْلِهِ أُلْقِيَ في السِّجْن .»

قالَ الأَميرُ: « لَقَدْ سُجِنَ لأَنَّهُ كانَ يَحوزُ رَسائِلَ كَتَبَها كُورنلْيس دي وِت إلى مَلِكِ فَرَنْسا .»

قالَتْ رُوزا : « إنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ شَيْئًا عَنْ تِلْكَ الرَّسائِلِ ، وَلَوْ

كانَ يَعْلَمُ لأخْبَرَني . إنَّني أعْرِفُهُ جيِّداً ، وَلَكَمْ أتَمَنَّى ، يا سَيِّدي ، أنْ تَعْرِفَهُ قَدْرَ مَعْرِفَتي بِهِ .»

صاحَ بُوكْستِل : « لَقَدْ كانَ صَديقاً لِدِي وِت ، وَالأميرُ يَعْرِفُهُ جَيِّداً ، وَقَدْ وَهَبَهُ حَياتَهُ .»

قالَ الأميرُ : « اُصْمُتْ ! إنَّ هَذِهِ الأمورَ تَخُصُّ الحُكومَةَ وَحْدَها، وَلا دَخْلَ لَكَ بِها .» ثُمَّ مَضى الأميرُ يَقولُ: « لا تَخَفْ ياسَيِّدُ بُوكْستِل ، فَسَوْفَ أتَّخِذُ الإجْراءَ الصَّحيحَ بِشَأْنِ زَنْبَقَتِكَ .» وَالْتَفَتَ إلى رُوزا قائِلاً: « وَأنْتِ ، يا بُنَيَّتي كُنْتِ عَلى وَشْكِ أنْ تَرْتَكِبي خَطَأً جَسيماً ، وَلَكِنَّ الغَلْطَةَ لَيْسَتْ غَلْطَتَكِ ، فَقَدْ قادَكِ ڤان بارْل إلى ارْتِكابِ الخَطَأ . لَقَدْ تآمَرَ عَلى الحُكومَةِ ، وَها نَحنُ الآنَ نَكْتَشِفُ أنَّهُ لِصٌّ أيْضاً .»

صاحَتْ رُوزا : « لِصٌّ ! كُورْنِلْيَس لِصّ ! كَيْفَ تَقولُ هَذا ؟! إنَّ هَذا الرَّجُلَ المَوجودَ مَعَنا جاكوب هَذا ، أوْ بُوكْستِل هُوَ اللِّصُّ .»

قالَ بُوكْستِل : « أثْبِتي هَذا ، إنِ اسْتَطَعْتِ .»

صاحَتْ رُوزا : « سَأُثْبِتُ ذَلِكَ . بِعَوْنِ اللّهِ سَأُثْبِتُ ذَلِكَ .» ثُمَّ الْتَفَتَتْ إلَيْهِ قائِلَةً : « أ هَذِهِ الزَّنْبَقَةُ مِلْكُكَ ؟»

أجابَ : « أجَلْ إنَّها زَنْبَقَتي .»

سَأَلَتْهُ رُوزا : « وَكَمْ عَدَدُ البُزورِ الَّتي كانَتْ لَدَيْكَ ؟»

وَلَمْ يُجِبْ بُوكْستِل عَلى الفَوْرِ ، وَلَكِنَّهُ كانَ يَعرِفُ أنَّ البُزورَ عادَةً ما تَكونُ ثَلاثًا ، لِذا أجابَ : « ثَلاثُ بُزورٍ .»

« أيْنَ هَذِهِ البُزورُ ؟ ماذا حَدَثَ لَها ؟»

« إنَّ واحِدَةً مِنْها لَمْ تَنْبُتْ ، أمّا الثّانِيَةُ فَقَدْ أنْتَجَتْ هَذِهِ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ .»

سَأَلَتْهُ رُوزا : « ماذا عَنِ الثّالِثَةِ ؟»

« الثّالِثَةُ ؟!»

صاحَتْ رُوزا : « أجَلْ ، الثّالِثَةُ ! أيْنَ هِيَ ؟»

قالَ بُوكْستِل : « إنَّها عِنْدي في بَيْتي .»

قالَتْ رُوزا : « في بَيْتِكَ . أ هِيَ في لوفِسْتايْن أمْ في دُرْت ؟»

قالَ بُوكْستِل : « في دُرْت .»

صاحَتْ رُوزا : « إنَّكَ كاذِبٌ !» ثُمَّ الْتَفَتَتْ إلى الأميرِ وَقالَتْ: «سَيِّدي ، سَأُخْبِرُكَ بِحَقيقَةِ قِصَّةِ هَذِهِ البُزور . لَقَدْ سَحَقَ أبي إحْداها بِقَدَمِهِ في غُرْفَةِ ڤان بارْل بِالسِّجْن ، وَهَذا الرَّجُلُ يَعْرِفُ ذَلِكَ ، وَقَدْ غَضِبَ بِشِدَّةٍ مِنْ أبي لِما فَعَلَهُ . وَالبِزْرَةُ الثّانِيَةُ غَرَسْتُها بِيَدَيَّ ، وَقَدْ أَنْتَجَتِ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ ، أمّا الثّالِثَةُ ...»

سَأَلَ الأميرُ: « أجَلْ ، أيْنَ البِزْرَةُ الثّالِثَةُ ؟»

قالَتْ رُوزا : « ها هِيَ ذي .» وَأَخْرَجَتْها رُوزا مِنْ بَيْنِ طَيّاتِ مَلابِسِها قائِلَةً : « ها هِيَ ذي في الوَرَقَةِ ذاتِها الَّتي لَفَّها بِها ڤان بارْل قَبْلَ أنْ يُساقَ إلى الإعْدام . هَا هِيَ ذي يا سَيِّدي ، فَخُذْها .»

وَتَناوَلَ الأميرُ البِزْرَةَ وَأَمْعَنَ النَّظَرَ فيها .

وَقالَ بُوكْستِل : « وَلَكِنْ يا سَيِّدي ، لَعَلَّ هَذِهِ الفَتاةَ سَرَقَتِ البِزْرَةَ كَما فَعَلَتْ بِالزَّنْبَقَةِ .»

وَلَمْ يُجِبِ الأميرُ ، فَقَدْ كانَ يَنْظُرُ إلى البِزْرَةِ ، وَكانَتْ رُوزا تَقْرَأُ الوَرَقَةَ ، وَفَجْأَةً لَمَعَتْ عَيْناها ، وَأَطْلَقَتْ صَرْخَةً وَهِيَ تَمُدُّ يَدَها بِالوَرَقَةِ لِلأميرِ قائِلَةً: « اِقْرَأْ يا سَيِّدي ! اِقْرَأْ ما فيها !»

وَدَفَعَ الأميرُ بِالبِزْرَةِ إلى ڤان هِريسِن ، ثُمَّ أخَذَ الوَرَقَةَ وَقَرَأَها .

وَظَهَرَتْ عَلى عَيْنَيْهِ عَلاماتُ الألَمِ حَتّى إنْ الوَرَقَةَ أفْلَتَتْ مِنْ بَيْنِ أصابِعِهِ وَسَقَطَتْ عَلى الأرْضِ . وَكانَتِ الوَرَقَةُ هِيَ الصَّفْحَةَ الَّتي انْتَزَعَها كُورْنلْيَس دِي وِت مِنْ كِتابٍ وَأعْطاها كرِيك لِيُوَصِّلَها إلى ڤان بارْل وَعَلَيْها الرِّسالَةُ التّالِيَةُ :

عزيزي ڤان بارل ،

أرجو أن تحرق تلك الرسائل التي سلمتها اليك دون أن تنظر فيها ، فإنه من الخطورة أن تعرف ما هو مكتوب فيها . أحرقها تنقذ حياة كورنليس دي وت وحياة أخيه جون وسمعتهما .

العشرون من أغسطس ١٦٧٢

كورنليس دي وت

لَقَدْ أثْبَتَتْ هَذِهِ الوَرَقَةُ شَيْئَيْنِ: أوَّلُهُما أنَّ ڤان بارْل لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا مِمّا هُوَ مُدَوَّنٌ في الرَّسائِلِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَآمَرُ ضِدَّ الحُكومَةِ . وَثانيهُما أنَّهُ هُوَ صاحِبُ الزَّنْبَقَةِ .

نَظَرَتْ رُوزا إلى الأميرِ ، وَقالَتْ لَهُ نَظَراتُها : « أ رَأيْتَ ؟!» أمّا شَفَتاها فَلَمْ تَنْطِقا بِكَلِمَةٍ . وَنَظَرَ الأميرُ إلى رُوزا وَقالَتْ لَها عَيْناهُ : « اِهْدَئي ، وَانْتَظِري .»

وَكانَ الأميرُ في ذَلِكَ الوَقْتِ مُسْتَغْرِقًا في التَّفكيرِ في الماضي، وَفي الخَطَإِ الَّذي ارْتَكَبَهُ عِنْدَما تَرَكَ الجَماهيرَ تَفْتِكُ بِالأَخَوَيْن دي وِت . ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ وَقالَ لِبُوكْستِل: « اِذْهَبْ يا سَيِّدُ بُوكْستِل ، وَسَوْفَ أَتَّخِذُ الإجْراءَ الصَّحيحَ .» ثُمَّ الْتَفَتَ إلى ڤان هِريسِن وَقالَ : « وَأَنْتَ يا عَزيزي ڤان هِريسِن ، أَرْجو أنْ تُعْنى بِهَذِهِ الفَتاةِ وَ بِالزَّنْبَقَةِ. إلى اللِّقاء !»

وَهَبَطَ الدَّرَجَ ، وَسَمِعَتْ هُتافاتُ الجُموع في الشّارع : « عاشَ الأميرُ !»

. . .

وَعادَ بُوكْستِل إلى الفُنْدُقِ يَتَمَلَّكُهُ الخَوْفُ: تُرى ما المَكْتوبُ في الوَرَقَةِ الَّتي دَفَعَتْ بِها رُوزا إلى الأمير ؟ ما مَعْنى كُلِّ هَذا ؟كانَ بُوكْستِل يَوَدُّ أَنْ يَعْرِفَ .

أَمّا رُوزا فَقَدْ تَوَجَّهَتْ إلى الزَّنْبَقَةِ وَقَبَّلَتْها هامِسَةً: « أَشْكُرُكَ يا رَبِّ لأِنَّكَ جَعَلْتَ كُورْنلِيس الطَّيِّبَ يُعَلِّمُني القِراءَةَ .»

الفَصْلُ الثّامِنُ وَالعِشْرونَ

الأميرُ يَبْعَثُ بِرسالة

أقامَتْ روزا وَمَعَها الزَّنْبَقَةُ في بَيْتِ السَّيِّدِ ڤان هِريسِن بِضْعَةَ أيّام. وَذاتَ مَساءٍ قَدِمَ أحَدُ ضُبّاطِ الأميرِ إلى مَنْزِلِ ڤان هِريسِن يَحْمِلُ أمْراً بِأنْ تَذْهَبَ روزا إلى مَبْنى البَلَدِيَّةِ.

وَفي قاعَةٍ كَبيرَةٍ بالمَبْنى جَلَسَ الأميرُ يَكْتُبُ، وَكانَ يَرْقُدُ عَلى الأرْضِ كَلْبٌ ضَخْمٌ. وَرَفَعَ الأميرُ عَيْنَيْهِ فَرَأى روزا واقِفَةً، فَقالَ لَها: «تَعاليْ يا بُنَيَّتي.»

وَتَقَدَّمَتْ روزا مِنَ المِنْضَدَةِ، فَقالَ لَها الأميرُ: «اِجْلِسي.»

وَجَلَسَتْ روزا، فَاقْتَرَبَ مِنْها الكَلْبُ وَأخَذَ يَتَمَسَّحُ بِها، فَقالَ الأميرُ: «إنَّكُما تَنْتَمِيانِ إلى إقْليمٍ واحِدٍ؛ لِذا تَصادَقْتُما بِسُرْعَةٍ!» ثُمَّ الْتَفَتَ إلَيْها قائِلاً: «والآنَ يا بُنَيَّتي، نَحْنُ اثْنانِ لا ثالِثَ مَعَنا، فَلْنَتَحَدَّثْ مَعاً.»

وَمَعَ أنَّ مَلامِحَ الأميرِ لَمْ تَعْكِسْ سِوى الحَنانِ فَقَدْ كانَتْ روزا

خائِفَةً ، وَلَمْ تَزِدْ عَلى أنْ قالَتْ : « سَيِّدي !»

سَأَلَها الأميرُ : « إنَّ والِدَكِ مَوْجودٌ في لوفِسْتايْن ، أ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

أجابَتْهُ : « بَلى يا سَيِّدي .»

« أ تُحِبّينَ ڤان بارْل ؟»

أجابَتْ : « أجَلْ ، إنَّني أحِبُّهُ يا سَيِّدي .»

سَأَلَها الأميرُ : « مُنْذُ مَتى وَ أنْتِ تُحِبّينَهُ ؟»

أجابَتْ روزا : « مُنْذُ أنْ رَأَيْتُهُ أوَّلَ مَرَّةٍ ؛ وَكانَ هَذا في اليَوْمِ التّالي لِمَصْرَعِ الأخَوَيْن كُورْنِلِّيس وَجون دِي وِت .»

سَأَلَها الأميرُ : « ما جَدْوى أنْ تُحِبّي إنْساناً سَيَقْضي كُلَّ حَياتِهِ في السِّجْن ، وَسَيَموتُ فيهِ ؟»

أجابَتْ روزا : « إذا كانَ سَيَعيشُ في السِّجْن وَسَيَموتُ فيهِ ؛ فَإنَّني أسْتَطيعُ مُساعَدَتَهُ في حَياتِهِ وَعِنْدَ مَماتِهِ .»

سَأَلَها الأميرُ : « هَلْ يُرْضيكِ أنْ تَكوني زَوْجَةً لِسَجين ؟»

« لَوْ كُنْتُ زَوْجَةً لِڤان بارْل لَشَعَرْتُ بِأنَّني أسْعَدُ امْرَأةٍ في العالَم

وَأَكْثَرُهُنَّ افْتِخاراً ، وَلَكِنْ ...»

سَأَلَها الأَميرُ : « وَلَكِنْ ماذا ؟»

أجابَتْ رُوزا : « إِنَّني لا أَجْرُؤُ عَلى التَّصْريحِ يا سَيِّدي .» ثُمَّ رَفَعَتْ عَيْنَيْها إِلى الأَميرِ ، وَتَضَرَّعَتْ إِلَيْهِ بِنَظَراتِها أَنْ يَعْفُوَ عَنْ فان بارْل ، فَقالَ الأَميرُ : « إِنَّني أَفْهَمُ ما تَعْنينَهُ ، فَأَنْتِ تَأْمُلينَ في مُساعَدَتِهِ .»

أجابَتْ رُوزا : « أَجَلْ يا سَيِّدي .»

قامَ الأَميرُ بِطَيِّ الرِّسالَةِ الَّتي انْتَهى مِنْ كِتابَتِها ، وَدَعا أَحَدَ ضُبّاطِهِ ، فَجاءَ عَلى الفَوْرِ ، وَقالَ لَهُ الأَميرُ : « أَيُّها الضّابِطُ فان دِكِن ، اِحْمِلْ هَذِهِ الرِّسالَةَ إِلى سِجْنِ لوفِسْتايْن ، وَأَبْلِغْ ما فيها مِنْ أَوامِرَ إِلى الضّابِطِ المَسْئولِ هُناكَ ، وَتَأَكَّدْ مِنْ تَنْفيذِهِ ما جاءَ بِها .»

وَحَمَلَ الضّابِطُ الرِّسالَةَ وَغادَرَ الغُرْفَةَ ، وَسَرْعانَ ما سُمِعَ وَقْعُ حَوافِرِ حِصانِهِ وَهُوَ يُسْرِعُ بِهِ خارِجَ الفِناءِ في طَريقِهِ إِلى لُوفِسْتايْن .

قالَ الأَميرُ: « إِنَّ عيدَ الزَّنابِقِ ، يا بُنَيَّتي ، سَيَكونُ الأَحَدَ القادِمَ ، أَيْ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيّام . فَإِلَيْكِ خَمْسَمِئَةِ الغِيلْدَر هَذِهِ وَاشْتَري لِنَفْسِكِ مَلابِسَ فاخِرَةً .»



سَأَلَتْهُ رُوزا : « ما هِيَ المَلابِسُ الَّتي تَوَدُّ أَنْ أَرْتَدِيَها يا سَيِّدي ؟»

أجابَها : « اِرْتَدي مَلابِسَ عَروسٍ .»

الفَصْلُ التّاسِعُ وَالعِشْرونَ

غريفِس يَنالُ عِقابَهُ

لِنَعُدْ إلى غريفِس وَكُورْنلَيس في سِجْن لوفسْتاين لِنَعْرِفَ ماذا كانا يَفْعَلانِ طَوالَ تِلْكَ الفَتْرَةِ .

لَمْ يَعْلَمْ غِريفِس أنَّ ابْنَتَهُ غادَرَتِ البَيْتَ حَتّى انْتَصَفَ النَّهارُ ، وَكانَ يَظُنُّ أنَّها تَبْكي في حُجْرَتِها ، عَلى حين كانَتْ قَدْ قَطَعَتْ شَوْطاً طويلاً في الطَّريقِ إلى هارْلم . وَعِنْدَما حانَ وَقْتُ الغَداءِ انْتَظَرَ ، وَطالَ انْتِظارُهُ ، وَلَمّا لَمْ تَحْضَرْ ذَهَبَ إلى غُرْفَتِها لاِسْتِدْعائِها . وَطَرَقَ البابَ فَلَمْ تُجِبْهُ ، وَكانَ البابُ مُغْلَقاً فَاقْتَحَمَ الغُرْفَةَ ، وَلَكِنَّ روزا لَمْ تَكُنْ فيها .

وَلَمّا تَبَيَّنَ غريفِس هُروبَ ابْنَتِهِ غَضِبَ بِشِدَّةٍ ، وَتَوَجَّهَ إلى فان بارْل ، وَقالَ لَهُ كُلَّ ما جالَ بِخاطِرِهِ مِنْ شَتائِمَ ، وَأَخَذَ يُبَعْثِرُ قِطَعَ الأثاثِ في أرْجاءِ الغُرْفَةِ . وَلَكِنَّ كُورْنلَيس لَزِمَ الصَّمْتَ ، وَبَلَغَ بِهِ الحُزْنُ مَدًى جَعَلَهُ لا يَرُدُّ ولا يُحَرِّكُ ساكِناً حَتّى عِنْدَما اعْتَدى عَلَيْهِ غريفِس بِالضَّرْبِ .

بَعْدَ ذَلِكَ ذَهَبَ غرِيفِس يَبْحَثُ عَنْ صَدِيقِهِ جاكوب ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْهُ ، فَأَخَذَ يَتساءَلُ عَمّا إذا كانَ جاكوب قَدْ فَرَّ مَعَ رُوزا . وَلَمْ يُفْلِحْ في أنْ يَسْتَنْتِجَ شَيْئاً .

وَفي اليَوْم الثّالِثِ لِغِيابِ رُوزا تَوَجَّهَ غرِيفِس إلى حُجْرَةِ كُورْنِلْيَس أشَدَّ غَضَباً مِنَ المُعْتادِ ، وَكانَ كُورْنِلْيَس يَقِفُ إلى جوارِ النّافِذَةِ يَتَطَلَّعُ ناحِيَةَ مَدِينَةِ دُرْت . وَكانَتْ أسْرابُ الحَمام لا تَزالُ تَحومُ حَوْلَ النّافِذَةِ ، وَلَكِنَّ الأمَلَ كانَ قَدْ تَبَخَّرَ مِنْ نَفْسِهِ . تُرى أيْنَ رُوزا ؟ أَ لَمْ يَكُنْ في وُسْعِها أنْ تَبْعَثَ إلَيْهِ بِرِسالَةٍ ؟ ماذا فَعَلَ بِها غرِيفِس ؟ رُبَّما أساءَ مُعامَلَتَها . وَعِنْدَ هَذا الحَدِّ لَمْ يَعُدْ كُورْنِلْيَس قادِراً عَلى تَحَمُّلِ مِثْلِ هَذِهِ الأفْكارِ ، فَقَدْ شَعَرَ بِالعَجْزِ وَهُوَ يُرِيدُ أنْ يَفْعَلَ شَيْئاً . إنَّهُ يُرِيدُ أنْ يَكْتُبَ لِرُوزا ، وَلَكِنْ أيْنَ هِيَ ؟ كَما أنَّ غرِيفِس قَدْ سَلَبَهُ القَلَمَ وَالوَرَقَ . وَحاوَلَ أنْ يُفَكِّرَ في وَسيلَةٍ لِلْهَرَبِ مِنَ السِّجْنِ .

قالَ لِنَفْسِهِ : « وَلَكِنْ كَيْفَ يُمْكِنُني الهَرَبُ؟ إنَّ النّافِذَةَ تَسُدُّها القُضْبانُ ، وَالبابَ مَتينٌ ، وَغرِيفِس يُراقِبُني ، وَقَدْ يُحاوِلُ أنْ يَعْتَدِيَ عَلَيَّ بِالضَّرْبِ يَوْماً ما ، وَفي هَذِهِ الحالَةِ سَوْفَ أقْبِضُ عَلى رَقَبَتِهِ وَأقْتُلُهُ ، ثُمَّ أهْبِطُ الدَّرَجَ وَأُخْرِجُ رُوزا مِنْ غُرْفَتِها . وَلَكِنَّ غرِيفِس هُوَ والِدُ رُوزا ، وَلَنْ تُحِبَّني إذا قَتَلْتُهُ ، مَعَ أنَّهُ شِرِّيرٌ . لا! إنَّ هذِهِ الخُطَّةَ لا تُجْدي .»

وَعِنْدَئِذٍ دَخَلَ غريفِس غُرْفَةَ كُورْنلْيس وَفي يَدِهِ عَصاً غَليظَةٌ ، وَكانَتْ عَيْناهُ تُشِعّانِ غَضَباً ، وَكانَ مِنَ الواضِح أَنَّهُ انْتَوى الشَّرَّ .

وَرَأى كُورْنلْيس غرِيفِس وَهُوَ يَقْتَحِمُ غُرْفَتَهُ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَلْتَفِتْ إلَيْهِ ، وَكانَ يُغَنّي :

أنا زَهْرَةٌ ، ابْنَةُ النّار

تَجوبُ العالَمَ وَلاتَخْمُدُ أَبَداً

أنا ابْنَةُ الماءِ وَالهَواءِ

أنا ابْنَةُ الأرْض وَالسَّماءِ

زادَتِ الأغْنِيَّةُ مِنْ غَضَبِ غريفِس الّذي سَأَلَهُ: « أ لا تَسْمَعُني أَيُّها المُغَنّي ؟»

اِلْتَفَتَ كُورْنلْيس قائِلاً: « صباحَ الخَيْر .» وَمَضى يُغَنّي :

وَتَمْتَدُّ جُذوري في الأرْض الطَّيِّبَةِ السَّمْراءِ

وَتُطاوِلُ رَأسي السَّماءَ

فَرُوحي جاءَتْ مِنَ الجَنَّةِ عِنْدَ مَوْلدي

وَستَعودُ لها عِنْدَ مَماتي

ذَهَبَ غرِيفِس إلى السَّجين وَقالَ لَهُ مُلَوِّحاً بِعَصاهُ: « أ لا تَرى أنَّني أتَيْتُ وَمَعي ما أجْبِرُكَ بِهِ عَلى قَوْل الحَقيقَةِ ؟»

سَألَهُ كُورْنلِيَس : « هَلْ تَعْني أنَّكَ سَتَضْرِبُني بِهذِهِ العَصا ؟»

أجابَ غرِيفِس : « أجَلْ ، وَلِمَ لا ؟»

قالَ كُورْنلِيَس : « إنَّ أيَّ سَجّانٍ يَرْفَعُ يَدَهُ عَلى سَجينِهِ يَفْقِدُ وَظيفَتَهُ . وَهَذا مَنْصوصٌ عَلَيْهِ في القانونِ .»

فَقالَ غرِيفِس : « لَيْسَتْ هَذِهِ يَدي وَلَكِنَّها عَصاً ، وَقَدْ نَصَّ القانونُ عَلى أنَّهُ لا يَنْبَغي أنْ أضْرِبَكَ بِيَدي ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ شَيْئاً عَنِ العَصا !»

قالَ كُورْنلِيَس : « وَيَنُصُّ القانونُ عَلى أنَّ كُلَّ مَنْ يَحْمِلُ عَصاً سَيُضْرَبُ بِها !»

صاحَ غرِيفِس : « إذاً فَأنْتَ تَدْفَعُني إلى اسْتِخْدام شَيْءٍ آخَرَ .» وَأخْرَجَ سِكِّيناً .



صاحَ كُورْنلِيس : « سِكِّينٌ ! » وَأَمْسَكَ العَصا وَاسْتَعَدَّ لِلدِّفاعِ عَنْ نَفْسِهِ .

وَوَقَفَ كُلٌّ مِنْهُما في مُواجَهَةِ الآخَرِ .

قالَ كُورْنلِيس : « وَالآنَ ، ماذا تُريدُ ؟ »

قالَ غرِيفِس : « أُريدُ ابْنَتي رُوزا . »

« ابْنَتُكَ ؟! »

« أجَلْ ، لَقَدْ هَرَّبْتَها أَوْ أَرْسَلْتَها إلى مَكانٍ ما ، وَأَنا لا أَدْري أَيْنَ هِيَ . »

قالَ كُورْنلِيس : « إذا كُنْتَ لا تَعْرِفُ مَكانَها ، فَأَنا بِدَوْري لا أَعْرِفُ . »

قالَ غرِيفِس : « سَأَجْعَلُكَ تَتَكَلَّمُ ! » ثُمَّ تَقَدَّمَ نَحْوَهُ شاهِراً سِكِّينَهُ ، وَلَكِنَّ كورْنلِيس ضَرَبَهُ بِالعَصا عَلى ذِراعِهِ فَسَقَطَتِ السِّكِّينُ مِنْهُ . وَراحَ يَضْرِبُهُ حَتّى عَلا صُراخُهُ ، فَخَفَّ لِنَجْدَتِهِ بَقِيَّةُ حُرّاسِ السِّجْنِ وَأَمْسَكوا بِكُورْنلِيس .

وَهَبَّ غرِيفِس صائِحاً : « وَفْقاً لأَحْكامِ القانونِ كُلُّ سَجين

يَعْتدي عَلى حارسِهِ بِالضَّرْبِ يُعْدَمُ رَمْيًا بِالرَّصاص. سَتُقْتادُ إلى خارج السِّجْن وَتُعْدَمُ رَمْيًا بِالرَّصاص في الحالِ .»

الفَصْلُ الثَّلاثونَ

كُورْنلْيَس يُسافِرُ إلى هارْلم

دَخَلَ ضابِطٌ إلى الغُرْفَةِ وَسَأَلَ: « هَلْ هَذِهِ هِيَ الغُرْفَةُ رَقْمُ ١١ ؟»

« نَعَمْ أَيُّها الضّابِطُ .»

« أَيْنَ السَّجينُ ؟»

أجابَ كُورْنلْيَس : « هَأَناذا يا سَيِّدي .»

سَأَلَهُ الضّابِطُ: « هَلْ أَنْتَ الدُّكتور كُورْنلْيَس ڤان بارْل ؟»

« نَعَمْ يا سَيِّدي .»

قالَ الضّابِطُ: « إذاً اِتْبَعْني .»

سَأَلَ كُورْنلْيَس غِريفِس : « أَ يَصْحَبُني لِيُعْدِمَني رَمْياً بِالرَّصاص ؟»

قالَ غِريفِس : « نَعَمْ ، وَهَذا الضّابِطُ هُوَ ضابِطٌ خاصٌّ بِأَميرِ أورانج ، وَثِقْ بأَنَّهُ سَوْفَ يُطْلِقُ النّارَ عَلَيْكَ فَوْراً .»

قالَ كُورْنلْيَس يُحَدِّثُ نَفْسَهُ: « إذاً فَقَدِ انْتَهى كُلُّ شَيْءٍ ، وَلَنْ أَتمَكَّنَ مِنْ إطْلاقِ اسْمي عَلى طِفْلٍ ، أَوْ زَهْرَةٍ أَوْ كِتابٍ . وَتِلْكَ هِيَ الأمورُ الثَّلاثَةُ الَّتي تَحْفَظُ اسْمَ الإنْسانِ .»

وَسارَ الضّابِطُ يَتْبَعُهُ كُورْنلْيَس الَّذي واصَلَ حَديثَهُ لِنَفْسِهِ: « وَلَنْ أرى رُوزا أَبَداً !»

وَ وَصَلا إلى خارِجِ السِّجْنِ ، وَكانَ كُورْنلْيَس يَتَوَقَّعُ أَنْ يَرى جَمْعًا مِنَ الجُنودِ مُسْتَعِدّينَ لإطْلاقِ النّارِ عَلَيْهِ . وَقَدْ شاهَدَ بِالفِعْلِ عَدَداً مِنَ الجُنودِ غَيْرِ مُصْطَفّينَ وَبِلا بَنادِقَ ، وَكانوا يَتَبادَلونَ الحَديثَ .

وَخَرَجَ غريفِس جَرْياً وَراءَ كُورْنلْيَس وَهُوَ يُشَيِّعُهُ بِسَيْلٍ مِنَ الشَّتائِمِ .

قالَ كُورْنلْيَس : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ اللائِقِ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعي هَذا الرَّجُلُ الآنَ بِهَذِهِ الطَّريقَةِ .»

قالَ الضّابِطُ : « لا تَتَوَقَّعْ أَنْ يَحْمِلَ لَكَ شُعوراً طَيِّباً بَعْدَ أَنْ أَوْسَعْتَهُ ضَرْباً .»

قالَ كُورْنلْيَس : « إنَّني ما ضَرَبْتُهُ إلا لأنَّهُ هَجَمَ عَلَيَّ بِسِكّين .»

قالَ الضّابِطَ: « دَعْهُ يَتلَفَّظُ بِما يَشاءُ ، فَإِنَّ هَذا لا يَضُرُّكَ الآنَ فِي شَيْءٍ .»

وَشَعَرَ كُورْنلِيس بِالارْتِياحِ لِهَذِهِ الكَلِماتِ ، فَقالَ لِلضّابِطِ: « قُلْ لِي إِلى أَيْنَ أَنا ذاهِبٌ الآنَ ؟»

وَأَشارَ الضّابِطُ إِلى عَرَبَةٍ تَجُرُّها أَرْبَعَةُ جِيادٍ ، وَقالَ: « اِصْعَدْ .»

قالَ كُورْنلِيس: « إِنَّهُمْ يَأْخُذونَني إِلى وَسَطِ المَدينَةِ قَبْلَ أَنْ يُعْدِموني .»

قالَ أَحَدُ الجُنودِ ، وَكانَ يَقِفُ عَلى مَقْرُبَةٍ مِنْهُ: « لا ، لا أَظُنُّ أَنَّهُمْ سَيَفْعَلونَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَحْيانًا يَأْخُذونَ السَّجينَ إِلى بَلْدَتِهِ وَيُطْلِقونَ عَلَيْهِ النّارَ أَمامَ مَنْزِلِهِ !»

قالَ لَهُ كُورْنلِيس : « شُكْرًا لَكَ عَلى كَلِماتِكَ الطَّيِّبَةِ .»

وَتَحَرَّكَتِ العَرَبَةُ ، وَكانَ غِريفِس يَصيحُ: « أَعِدْ إِلَيَّ ابْنَتي .»

وَأَخَذَ كُورْنلِيس يُفَكِّرُ في نَفْسِهِ : « إِنَّهُمْ لَوْ أَخَذوني إِلى دُرْت فَسَأَرى بَيْتي وَحَديقَتي ، وَلَكِنَّ الحَديقَةَ خالِيَةٌ الآنَ مِنَ الأَزْهارِ .»

وَسارَتِ العَرَبَةُ طَوالَ اليَوْمِ مارَّةً في طَريقِها بِبَلْدَةِ دُرْت ، ثُمَّ بَلْدَةِ

رُتْردام ، حَتّى وَصَلَتْ إلى مـدينة دِلْفِت . وَعِنْدَمـا بَلَغَتِ السّاعَةُ الخامِسَةَ مَساءً ، كانوا قَدْ قَطَعوا حَوالى مِئَةٍ وَثَلاثينَ كيلو مِتْرًا .

سَأَلَ كُورْنِلْيَس الضّابِطَ : « إلى أَيْنَ نَحْنُ ذاهِبونَ ؟ »

وَلَمْ يُجِبْهُ الضّابِطُ .

وَقَضَوْا اللَّيْلَةَ بِالعَرَبَةِ ، وَفي الصَّبـاح تَبَيَّنَ كُورْنِلْيَس أَنَّهُمْ قَدْ تَجاوَزوا مَدينَةَ لَيْدِن ؛ إذْ كـانَ بَحْرُ الشَّمالِ عَنْ يَسارِهِمْ وَخَليجُ زِيدَر زي عَنْ يَمينِهِمْ . وَبَعْدَ ثَلاثِ ساعاتٍ بَلَغوا مَدينَةَ هارْلِم .

الفَصْلُ الواحِدُ وَالثّلاثونَ

عيدُ الزّنابِق

كانَ الخامِسَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ مايو عامَ ١٦٧٣ يَوْماً عَظيماً في مَدينَةِ هارْلم . وَكانَ دائِماً يَوْمَ عيدٍ عَظيم ، عيدِ الزّنابِق . وَكانَ لِعيدِ ذَلِكَ العام أَهَمّيّةٌ خاصّةٌ استَمَدّها مِنَ الزّنْبَقَةِ السّوْداءِ .

وَكانَ كُلُّ شَيْءٍ مُهَيَّئاً في مَيْدانٍ فَسيح طَلْقٍ لِيَمْنَحَ فيهِ الأميرُ جائِزَةَ مِئَةِ أَلْفِ الغيلْدَر لِسَعيدِ الحَظّ ، الّذي أَنْتَجَ الزّنْبَقَةَ السّوْداءَ. وَقَدْ سارَ الوُجَهاءُ وَالأَعْيانُ مِنْ رجالِ المَدينَةِ في صَفٍّ طَويل مُتّجِهينَ إلى المَيْدانِ ، وَتَقَدّمَهُمُ السّيّدُ ڤان هريسِن ، وَقَدِ ارْتَدى مَلابِسَ سَوْداءَ . وَسارَ خَلْفَهُ بَعْضُ وُجَهاءِ مَدينَةِ هارْلم مِنْ أَعْضاءِ جَمْعِيَّةِ زُرّاع الأَزْهار ، وَتَبِعَهُمُ العُلَماءُ وَالأُدَباءُ ، وَالقُضاةُ وَالضُّبّاطُ وَالنُّبَلاءُ. وَفي وَسَطِ هَؤلاءِ جَميعاً حُمِلَتِ الزّنْبَقَةُ السّوْداءُ فَوْقَ قُماش مِنَ الحَريرِ الأَبْيَض مُذَهّبِ الحافاتِ .

وَعَلا تَهْليلُ النّاس عِنْدَ ظُهورِ السّيّدِ ڤان هِريسِن ، وَهَلّلوا مِنْ جَديدٍ عِنْدَما ظَهَرَ أَعْضاءُ جَمْعِيّةِ زُرّاع الأَزْهار وَالنُّبَلاءُ وَالقُضاةُ

وَالعُلماءُ وَالأدَباءُ ، وَزادَ تَهْليلُهُمْ عِنْدَما ظَهَرَتْ أمامَهُمُ الزَّنْبَقَةُ السَّوْداءُ .

وَتَطَلَّعَ النّاسُ بَحْثاً عَنْ ذَلِكَ الشَّخْص السَّعيدِ الَّذي سَيَتَسَلَّمُ الجائِزَةَ ، وَتَساءَلوا أيْنَ الَّذي زَرَعَ الزَّنْبَقَةَ ؟

وَألْقى السَّيِّدُ ڤان هِريسِن كَلِمَةً خَتَمَها قائِلاً : « وَالآنَ أطْلُبُ إلى الفائِزِ بِالجائِزَةِ ، الَّذي زَرَعَ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ ، أنْ يَتَقَدَّمَ لِيَراهُ النّاسُ .»

وَتَقَدَّمَ السَّيِّدُ أيْزاكِ بوكْستِل مُثَبِّتاً نَظَراتِهِ لا عَلى الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ ، بَلْ عَلى صُرَّةِ الذَّهَبِ الَّتي بِجانِبِها ، وَالَّتي تَحْتَوي عَلى مِئَةِ ألْفِ الغيلْدَر .

وَهَلَّلَ النّاسُ ، عَلى حين ظَلَّ بَصَرُ أيْزاك مُثَبَّتاً عَلى الذَّهَبِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُمْكِنْهُ أنْ يَتَسَلَّمَ الجائِزَةَ لأنَّ أميرَ أورانْج لَمْ يَكُنْ قَدْ وَصَلَ بَعْدُ . وَقالَ في نَفْسِهِ : «إنَّ الأميرَ سَيَصِلُ بَعْدَ بِضْع دَقائِقَ، وَسَيُسَلِّمُني صُرَّةَ الذَّهَبِ ، وَسَيَقولُ لي إنَّها سَتُسَمّى زَنْبَقَةَ بوكْستِل السَّوْداءَ .»

وَتَطَلَّعَ إلى وُجوهِ النّاس وَسْطَ الزِّحام ، وَكانَ يَخْشى أنْ يَرى بَيْنَهُمْ وَجْهَ روزا غِريفِس . أ هِيَ هُنا ؟ أ ثَمَّةَ خَطَرٌ في أنْ تَظْهَرَ وَتُثيرَ

المَتاعِبَ ؟ وَأَمْعَنَ النَّظَرَ في وُجوهِ النّاس ، وَلكِنَّها لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ .

وَأُقيمَتْ في وَسَطِ المَيْدانِ مِنَصَّةٌ وُضِعَ عَلَيْها كُرْسِيٌّ مُذَهَّبٌ لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ أميرُ أورانْج ، وَأَمامَهُ مِنْضَدَةٌ أُعِدَّتْ لِتوضَعَ عَلَيْها الزَّنْبَقَةُ السَّوْداءُ .

وَسارَ عَنْ يَمينِ الزَّنْبَقَةِ وَيَسارِها – وَهِيَ في طَريقِها لِتوضَعَ أَمامَ الأميرِ – صَفّانِ مِنَ الصَّبايا الجَميلاتِ . وَعَلا تَهْليلُ النّاسِ مَرَّةً أُخْرى .

وَمِنْ بَعيدٍ ظَهَرَتْ عَرَبَةٌ في الطَّريقِ الواقِعِ خَلْفَ الزِّحامِ ، وَكانَ مِنَ المُمْكِنِ رُؤْيَتُها لَوْلا أَنَّ النّاسَ كانوا مُنْصَرِفينَ إلى مُشاهَدَةِ الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ .

وَكانَتِ العَرَبَةُ مُغَطّاةً بِالأَتْرِبَةِ ، وَكانَتِ الجِيادُ مُنْهَكَةً لِطولِ المَسافَةِ الَّتي قَطَعَتْها .

الفَصْلُ الثّاني وَالثَّلاثونَ

وُصولُ الأمير

كانَ كُورْنلْيَس ڤان بارْل يَجْلِسُ داخِلَ تِلْكَ العَرَبَةِ يُرافِقُهُ الضّابِطُ. وَكانَ كُورْنلْيَس مُتْعَبًا بِسَبَبِ طولِ الرِّحْلَةِ الَّتي قَطَعَها ، وَلَكِنَّهُ أطَلَّ مِنْ نافِذَةِ العَرَبَةِ وَرَأى جُموعَ النّاس ، فَسَأَلَ الضّابِطَ : « ما سَبَبُ وُجودِ هَذِهِ الجُموع الغَفيرَةِ مِنَ النّاس في هَذا المَيْدانِ ؟ هَلِ اليَوْمَ عيدٌ ؟»

أجابَهُ الضّابِطُ: « أجَلْ ، إنَّهُ عيدٌ .»

قالَ كُورْنلْيَس بِحُزْنٍ: « إنَّني لَمْ أعُدْ أهْتَمُّ كَثيراً بِالأعْيادِ ، فَلَمْ يَعُدْ لي فَرَحٌ في هَذِهِ الدُّنْيا .»

وَواصَلَتِ العَرَبَةُ سَيْرَها ، فَقالَ كُورْنلْيَس: « إنَّني أرى أزْهاراً كَثيرَةً ، فَهَلِ اليَوْمَ عِيدُ الأزْهار ؟»

أجابَهُ الضّابِطُ: « أجَلْ ، إنَّهُ عيدُ الأزْهارِ العَظيمُ ؛ فَأهالي هارْلم يُحِبّونَ الأزْهارَ .»

صاحَ كُورْنلْيَس : « يا لَها مِنْ أَلْوانٍ جَميلَةٍ ! إنَّني أيْضاً أحِبُّ الأزْهارَ .»

قالَ الضّابِطُ لِسائِقِ العَرَبَةِ : « قِفْ حَتّى يَسْتَطيعَ السَّيِّدُ أنْ يَرى الأزْهارَ .»

قالَ ڤان بارْل : « أشْكُرُكَ عَلى لُطْفِكَ ؛ غَيْرَ أنَّ فَرَحَ الآخَرينَ يُؤْلِمُني ، فَقُلْ لِلسّائِقِ أنْ يُواصِلَ السَّيْرَ .»

قالَ الضّابِطُ: « كَما تَشاءُ ، فَقَدْ أمَرْتُ السّائِقَ بِالوُقوفِ لأنَّني ظَنَنْتُ أنَّكَ تُحِبُّ الأزْهارَ ، وَهَذا عيدُ زَهْرَةٍ واحِدَةٍ .»

سَأَلَهُ كُورْنلْيَس : « أيَّةُ زَهْرَةٍ ؟»

أجابَ الضّابِطُ: « الزَّنْبَقَةُ .»

صاحَ كُورْنلْيَس : « الزَّنْبَقَةُ ! هَلِ اليَوْمَ هُوَ عيدُ الزَّنابِقِ ؟»

أجابَهُ الضّابِطُ : « أجَلْ ، وَلَكِنْ إذا كانَ ذَلِكَ يُسَبِّبُ لَكَ ألَماً فَلْنُواصِلِ السَّيْرَ .»

وَطَرَأَتْ فِكْرَةٌ عَلى ذِهْنِ كُورْنلْيَس فَسَأَلَ : « هَلْ تُمْنَحُ الجائِزَةُ اليَوْمَ ؟»

قالَ الضّابِطُ: « أجَلْ ، سَتُمْنَحُ اليَوْمَ جائِزَةُ الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ .» فَشَحَبَ وَجْهُ ڤان بارْل وَقال: « إنَّني آسِفٌ لِكُلِّ هؤُلاءِ النّاسِ ، لأنَّهُمْ لَنْ يُشاهِدوا ما جاءوا مِنْ أجْلِهِ !»

سَألَهُ الضّابِطُ: « ماذا تَعْني ؟»

أجابَهُ كُورْنلْيس: « أعْني أنَّهُمْ قَدْ جاءوا لِيَرَوْا زَنْبَقَةً سَوْداءَ ، وَلَكِنْ لَنْ يَجِدَ الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ سِوى شَخْصٍ واحِدٍ أعْرِفُهُ .»

قالَ الضّابِطُ: « إذاً فَقَدْ وَجَدَها ذَلِكَ الشَّخْصُ ، فَكُلُّ أهالي مَدينَةِ هارْلم يَتَمَتَّعونَ اليَوْمَ بِالنَّظَرِ إلى الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ .»

وَأطَلَّ كُورْنلْيس بِرَأْسِهِ مِنْ نافِذَةِ العَرَبَةِ صائِحاً : « الزَّنْبَقَةُ السَّوْداءُ ! أيْنَ هِيَ ؟ أيْنَ هِيَ ؟»

قالَ الضّابِطُ: « إنَّها هُناكَ . هُناكَ عَلى المِنْضَدَةِ .»

صاحَ ڤان بارْل: « إنَّني لا أراها .»

قالَ الضّابِطُ: « هَيّا . هَيّا بِنا . يَجِبُ أنْ نُواصِلَ السَّيْرَ .»

صاحَ كُورْنلْيس: « دَعْني أنْظُرْ إلَيْها . دَعْني ألْقِ عَلَيْها نَظْرَةً . هَلْ هَذا مُمْكِنٌ ؟ هَلْ هَذِهِ الزَّنْبَقَةُ سَوْداءُ تَماماً – سَوْداءُ كَالفَحْمِ

وَلا يُخالِطُها أيُّ لَوْنٍ آخَرَ ؟ دَعْني أنْزِلْ مِنَ العَرَبَةِ وَأنْظُرْ إلَيْها عَنْ كَثَبٍ .»

« هَلْ جُنِنْتَ ؟ كَيْفَ يُمْكِنُ أنْ أسْمَحَ لَكَ بِهَذا ؟»

« أتَوَسَّلُ إلَيْكَ !»

قالَ الضّابِطُ : « لَقَدْ نَسيتَ أنَّكَ سَجينٌ .»

قالَ كُورْنِلْيَس : « إنَّني فِعْلاً سَجينٌ ، وَلكِنْ لَكَ أنْ تَثِقَ بي ، وَأعِدُكَ بِألا أهْرُبَ . بِرَبِّكَ دَعْني أنْظُرُ إلى الزَّنْبَقَةِ !»

قالَ الضّابِطُ لِلسّائِقِ: « واصِلِ السَّيْرَ .»

« تَرَفَّقْ بي فَحَياتي كُلُّها مُتَوَقِّفَةٌ عَلى تَرَفُّقِكَ بي . دَعْني أرى الزَّنْبَقَةَ ، إنَّكَ لا تَدْري أيَّةَ مَشاعِرَ يَخْتَلِجُ بِها قَلْبي ! قَدْ تَكونُ هَذِهِ الزَّنْبَقَةُ زَنْبَقَتي ! لَعَلَّها الزَّنْبَقَةُ الَّتي سُرِقَتْ مِنْ رُوزا ! دَعْني أنْزِلْ مِنَ العَرَبَةِ . لا بُدَّ أنْ أرى الزَّهْرَةَ . لا بُدَّ أنْ أراها ، وَلَكَ أنْ تَقْتُلَني بَعْدَ ذَلِكَ !»

« اُصْمُتْ ، وَعُدْ إلى العَرَبَةِ ، فَها هُوَ ذا أميرُ أورانْج قادِمٌ ، وَلَوْ رَآكَ تَعْصي أوامِري فَإنَّهُ سَيُعاقِبُني !» وَأسْرَعَ كُورْنِلْيَس عائِداً إلى العَرَبَةِ ، فَلَمْ يَشَأ أنْ يُثيرَ المَتاعِبَ لِلضّابِطِ .

وَمَرَّ بَعْضُ فُرْسانِ الأميرِ ، فَأَطَلَّ كُورْنِلْيَس بِرَأْسِهِ مِنَ العَرَبَةِ مَرَّةً أخْرى في اللَّحْظَةِ الَّتي اقْتَرَبَ فيها الأميرُ مِنَ العَرَبَةِ ، فَنَظَرَ إلَيْهِ وَتَوَقَّفَ وَسَأَلَ: « مَنْ هَذا الرَّجُلُ ؟»

أجابَ الضّابِطُ وَهُوَ يَقْفِزُ خارِجَ العَرَبَةِ: « سَيِّدي ، إنَّهُ السَّجينُ الَّذي أحْضَرْتُهُ مِنْ سِجْنِ لُوفِسْتايْن كَما أمَرْتَ .»

قالَ الأميرُ: « ماذا يُريدُ ؟»

أجابَ الضّابِطُ: « إنَّهُ يُريدُ أنْ يَتَوَقَّفَ هُنا قَليلاً .»

صاحَ فان بارْل: « أُريدُ أنْ أرى الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ . أتَوَسَّلُ إلَيْكَ ياسَيِّدي أنْ تَدَعَني أرى الزَّنْبَقَةَ السَّوْداءَ ، وَعِنْدَما أراها سَأكونُ مُسْتَعِدّاً لِلْمَوْتِ .»

وَالْتَفَتَ الأميرُ إلى الضّابِطِ وَسَأَلَهُ ، وَهُوَ يَرْمُقُ كُورْنِلْيَس بِنَظْرَةٍ فاتِرَةٍ: « هَلْ هَذا هُوَ السَّجينُ الَّذي أثارَ كَثيراً مِنَ المَشاكِلِ في سِجْنِ لُوفِسْتايْن وَحاوَلَ أنْ يَقْتُلَ حارِسَهُ ؟»

وَبَدا أنَّ هَذِهِ الكَلِماتِ أفْقَدَتْ كُورْنِلْيَس كُلَّ أمَلٍ ، فَالأميرُ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهُ . وَلَمْ يُحاوِلْ أنْ يُقاوِمَ أوْ يُدافِعَ عَنْ نَفْسِهِ ، فَبَدا أمامَ الأميرِ وَكَأَنَّهُ طِفْلٌ صَغيرٌ مِسْكينٌ لَمْ يَقْتَرِفْ خَطَأً وَلَيْسَ

لَدَيْهِ أَمَلٌ . وَتَفَهَّمَ الأميرُ ذَلِكَ ، فَقالَ : « اِسْمَحوا لِلسَّجين أَنْ يَنْزِلَ مِنَ العَرَبَةِ ، ودَعوهُ يَنْظُرُ إلى الزَّنْبَقَةِ ، فَهِيَ جَديرَةٌ بِالْمُشاهَدَةِ .»

صاحَ كُورْنِلْيس : « أَشْكُرُكَ يا سَيِّدي ! أَشْكُرُكَ !» وَكادَ يَسْقُطُ عَلى الأَرْض ، غَيْرَ أَنَّ الضّابِطَ سارَعَ إلى الإمْساكِ بِهِ .

وَمَضى الأميرُ في طَريقِهِ وَسْطَ هُتافِ النّاس ، وَعَزْفِ الموسيقى، حَتّى وَصَلَ إلى كُرْسِيِّهِ المُذَهَّبِ فَجَلَسَ فيهِ بِجِوارِ الزَّنْبَقَةِ .

الفَصْلُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثونَ

الجائِزَةُ

اِقْتادَ أَرْبَعَةٌ مِنَ الجُنودِ كُورْنلْيَس إلى الزَّنْبَقَةِ السَّوْداءِ ، وَكانَ كُلَّما اقْتَرَبَ مِنْها ازْدادَ انْفِعالاً .

وَأخيراً رَآها . رَأى الزَّهْرَةَ الَّتي لَنْ يَراها بَعْدَ ذَلِكَ أَبَداً . وَأَحاطَ صَفٌّ مِنَ الصَّبايا الجَميلاتِ بِالزَّهْرَةِ . وَكانَتْ رائِعَةً . كانَتْ زَهْرَةً رائِعَةً ، وَلَكِنَّهُ كانَ كُلَّما أَمْعَنَ فيها النَّظَرَ ازْدادَ حُزْناً . وَتَطَلَّعَ حَوْلَهُ بَحْثاً عَنْ شَخْصٍ يَسْتَطيعُ أَنْ يُوَجِّهَ إِلَيْهِ سُؤالاً مُحَدَّداً: مَنْ هُوَ الزّارِعُ السَّعيدُ الَّذي أَنْتَجَ هَذا الشَّيْءَ الجَميلَ ؟

وَعِنْدَئِذٍ نَهَضَ الأَميرُ ، وَعِنْدَما تَطَلَّعَ حَوْلَهُ لَمْ يَرَ مِنَ الجُمهورِ سِوى ثَلاثَةِ أَشْخاص: رَأى بُوكْستِل أَمامَهُ يُراقِبُهُ وَيُراقِبُ النُّقودَ بِشَغَفٍ ، وَإِلى يَمينِهِ رَأى كُورْنلْيَس وَقَدْ رَكَّزَ عَيْنَيْهِ وَقَلْبَهُ وَحَياتَهُ وَحُبَّهُ عَلى الزَّنْبَقَةِ ، وَإِلى اليَسارِ وَقَفَتْ رُوزا تَرْتَدي ثِيابَ العُرْس ، وَلَكِنْ كانَتِ الدُّموعُ تَمْلأُ عَيْنَيْها ، وَعَلى مَقْرُبَةٍ مِنْها وَقَفَ الضّابِطُ المُكَلَّفُ بِمُرافَقَتِها .

وَتكَلَّمَ الأميرُ بِهُدوءٍ وَتُؤَدَةٍ ، فَأَنْصَتَ إِلَيْهِ خَمْسونَ أَلْفَ مُشاهِدٍ . قالَ : « تَعْرِفونَ جَميعُكُمُ السَّبَبَ الَّذي جَمَعَنا هُنا ، فَقَدْ خُصِّصَتْ جائِزَةٌ قَدْرُها مِئَةُ أَلْفِ غيلْدَرٍ لِمَنْ يُوَفَّقُ في إِنْتاجِ زَنْبَقَةٍ سَوْداءِ اللَّوْنِ. وَها هِيَ ذي الزَّنْبَقَةُ السَّوْداءُ قَدْ أُنْتِجَتْ . إِنَّها هُنا عَلى مَرْأًى مِنّا ، وَسَتُكْتَبُ قِصَّةُ زِراعَتِها ، وَاسْمُ زارِعِها في سِجِلِّ الشَّرَفِ الخاصِّ بِالمَدينَةِ . وَالآنَ فَلْيَتَقَدَّمْ صاحِبُ الزَّنْبَقَةِ .»

وَ تَطَلَّعَ الأميرُ إِلى الأَشخاص الثَّلاثَةِ الواقِفينَ وَسْطَ الجُمْهورِ ، وَهُمْ بُوكستِل ، وَكُورْنلْيس وَ رُوزا . فَأَسْرَعَ بُوكستِل يَجْري وَهُوَ يَدْفَعُ النّاسَ بَعيداً عَنْ طَريقِهِ ، وَرَفَعَ كُورْنلْيس عَيْنَيْهِ وَتَقَدَّمَ قَليلاً ثُمَّ تَوَقَّفَ . ورأى الأميرُ الضّابِطَ المُكَلَّفَ بِمُرافَقَةِ رُوزا وَهُوَ يَتَقَدَّمُ بِها .

وَاحْتَقَنَ وَجْهُ بُوكستِل غَضَباً ، وَصاحَ كُورْنلْيس فَرِحاً : « رُوزا! رُوزا !»

وَقالَ الأميرُ لِرُوزا : « هَذِهِ الزَّنْبَقَةُ زَنْبَقَتُكِ يا بُنَيَّتي ، أَ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

أجابَتْ رُوزا : « بَلى ، يا سَيِّدي .»

قالَ كُورْنلْيس : « يا إِلَهي ! هَلْ نَسيتِني ؟ لَقَدْ أَحْبَبْتُها ، أَمّا هِيَ فَقَدْ نَسِيَتْني .»



صاحَ بُوكستِل: «آهٍ ! لَقَدْ ضاعَ كُلُّ شَيْءٍ !»

وَمَضى الأميرُ يَقولُ: « إنَّ هَذِهِ الزَّنْبَقَةَ تُسَمّى زَنْبَقَةَ رُوزا-بارْل السَّوْداءَ ، لِأَنَّ رُوزا بارْل سَوْفَ يَكونُ اسْمَ هَذِهِ الفَتاةِ في المُسْتَقْبَل.»

وَانْدَفَعَ كُورْنلْيس نَحْوَ الأميرِ وَقَدِ اجْتاحَهُ إحْساسٌ بِالفَرَح . وَأَخَذَ الأَميرُ بِيَدِ رُوزا وَوَضَعَها في يَدِ كُورْنلْيس ڤان بارْل . وَفي اللَّحْظَةِ ذاتِها سَقَطَ رَجُلٌ عَلى الأَرْض ، وَكانَ بُوكْستِل ، بَعْدَ أَنْ ضاعَتْ كُلُّ آمالِهِ . وَعِنْدَما رَفَعوهُ كانَتِ الحَياةُ قَدْ فارَقَتْهُ . وَلَكِنَّ الاحْتِفالَ اسْتَمَرَّ ، فَعَزَفَتِ المُوسيقى ، وَسارَ زُرّاعُ الأَزْهار النُّبَلاءُ وَالقُضاةُ وَالعُظَماءُ مِنَ المَيْدانِ ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ رُوزا وَكُورْنلْيس وَقَدْ أَمْسَكَ كُلٌّ مِنْهُما بِيَدِ الآخَرِ ، حَتّى وَصَلَ الجَميعُ إلى مَبْنى البَلَدِيَّةِ فَتَوَقَّفَ الأَميرُ وَأَشارَ إلى الصُّرَّةِ الَّتي تَحْتَوي عَلى مِئَةِ أَلْفِ الغيلْدَر ، وَالَّتي كانَتْ مَحْمولَةً إلى جِوار الزَّنْبَقَةِ ، وَقالَ: « إنَّهُ لَمِنَ الصَّعْبِ أَنْ نَحْكُمَ لِمَنْ تُصْرَفُ هَذِهِ الجائِزَةُ لَكَ أَمْ لِرُوزا . فَأَنْتَ يا كُورْنلْيس ڤان بارْل تَوَصَّلْتَ إلى البِزْرَةِ ، وَلَكِنَّها هِيَ الَّتي غَرَسَتْها إلى أَنْ أَنْبَتَتْ زَهْرَةً . وَسَوْفَ أُقَدِّمُ لَها المالَ عِنْدَ زَواجِها ، وَهُوَ جائِزَةٌ تُمْنَحُ لَها لا لِإنْتاجِها الزَّهْرَةَ فَحَسْبُ ، وَإِنَّما كَذَلِكَ لِأَمانَتِها وَشَجاعَتِها .»

وَالْتَفَتَ الأَميرُ إلى كُورْنلْيس وَقَدْ أَمْسَكَ بِيَدِهِ الصَّفْحَةَ المُنْتَزَعَةَ



مِنْ كِتابِ كُورْنلْيس دِي وِت ، وَقالَ: « عَلَيْكَ أَنْ تُقَدِّمَ الشُّكْرَ لِرُوزا ، لا لِزِراعَتِها الزَّنْبَقَةَ فَحسْبُ ، بَلْ لأَنَّها أَثْبَتَتْ كَذلِكَ أَنَّهُ يَنْبَغي إِطْلاقُ سَراحِكَ . لَقَدْ سُجِنْتَ لِجُرْمٍ لَمْ تَرْتَكِبْهُ ، وَسَوْفَ تُرَدُّ إِلَيْكَ دارُكَ وَأَرْضُكَ وَأَمْوالُكَ . لَقَدْ كُنْتَ صَديقاً لِلأَخَوَيْنِ دِي وِت ، وَسُمِّيتَ بِاسْمِ كُورْنلْيس دِي وِت ، فَابْقَ جديراً بِالاِسْمِ الَّذي تَحْمِلُهُ . وَقَدْ كانَ الأَخَوانِ دِي وِت ، رَجُلَيْنِ عَظيمَيْنِ قُتِلا ظُلْماً في لَحْظَةِ غَضَبِ العامَّةِ . إِنَّ بَلَدَهُما - هُولَنْدا - فَخورٌ بِهِما .»

وَانْحَنى كُورْنلْيس وَرُوزا أَمامَ الأَميرِ ، فَقالَ لَهُما : « إِنَّكُما سَعيدانِ ، وَأَسْعَدُ مِنّي أَنا أَميرُكُمْ . فَأَنا أَحْلُمُ بِعَظَمَةِ هُولَنْدا ، وَأَنْتُما تَحْلُمانِ بِجَمالِها وَعَظَمَتِها الحَقيقِيَّةِ المُتَمَثِّلَةِ في جَمالِ أَزْهارِها .»

ثُمَّ رَكِبَ عَرَبَتَه وَانْصَرَفَ .

وَهكَذا تَنْتَهي القِصَّةُ :

تَزَوَّجَ كُورْنلْيس رُوزا ، وَأَنْجَبا طِفْلَيْنِ جَميلَيْنِ ، كَما أَنْتَجا الكَثيرَ مِنَ الزَّنابِقِ الجَميلَةِ ، وَكانَ غرِيفِس العَجوزُ هُوَ البُسْتانِيَّ ، وَكانَ يَحْرُسُ الزَّنابِقَ كَما يَحْرُسُ السَّجّانُ سُجَناءَهُ . وَكانَتِ الأَزْهارُ تَقِفُ في صُفوفٍ مُسْتَقيمَةٍ وَهُوَ يَسيرُ بَيْنَها جيئَةً وَذَهاباً يَرْويها بِالماءِ. وَلَمْ تَجْرُؤْ قِطَّةٌ قَطُّ عَلى الاِقْتِرابِ مِنْ حَديقَةِ غرِيفِس . وَعَلى بابِ

البَيْتِ الَّذي عاشَ فيهِ كُورْنِلْيَس وَرُوزا كُتِبَتِ العِبارَةُ التَّالِيَةُ :

« مِنْ حَقِّ هَؤلاءِ الَّذينَ عانَوْا الكَثيرَ أَنْ يَعيشوا سُعَداءَ . »

وَهَذِهِ هِيَ نِهايَةُ القِصَّةِ .



الروايات المشهورة

١ – جين إير

٢ – فرانكنشتاين

٣ – مونفليت

٤ – دراكولا

٥ – لورنا دون

٦ – دكتور جيكل ومستر هايد

٧ – شي الملكة الأسطورة

٨ – كونت مونت كريستو

٩ – الرجل الخفي

١٠ – الزمن العصيب

١١ – الزنبقة السوداء

يطلب من : **شركة أبو الهول للنشر**

٣ شارع الشواربي ، القاهرة